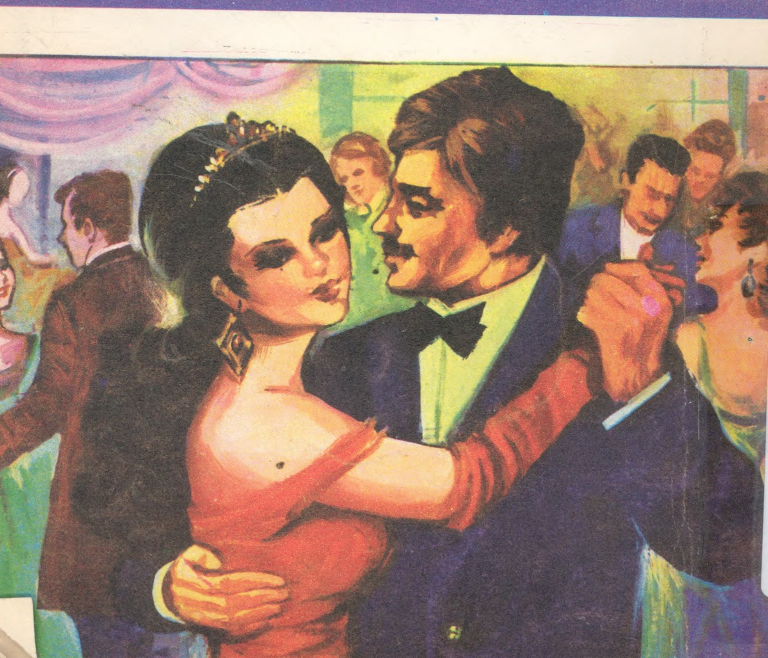
روايات الهلال

حلم فتاة

قصص من اليونان الحديثة



روايات الهلال

Rewayat Al - Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال

العدد ٣٥٨ — أكتوبر ١٩٧٨ — ذو القعدة ١٣٩٨
No. 358 — October 1978

بيانات ادارية

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربيــة ١٥٠ مليما • عن الكميات المرسلة بالطائرة — في ســوريا ولبنان ٢٠٠ قرشا ، في الاردن ٢٠٠ فلســا ، في العراق ٣٠٠ فلســا — في الكويت ٣٠٠ فلسا — في السعودية ٣٫٥ ريال سعودى

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد إتحادى البريد العربي والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا — في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أمريكية أو ٢٫٥ جك والقيمة تسـدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال :. في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية • وفي الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف في جمهورية مصر العربيــة • والاســعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمســجل على الاسعار المحددة عند الطلب •

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بالقاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

الغلاف بريشة
الفنانة سميحة حسنين

حلم فتاة

قصص من اليونان الحديثة



بعض الكتاب اليونانيين المعاصرين



د. نعيم عطية

دار الهلال

اهداء

الى ذكرى الدكتور طه حسين

أكثرنا حبا للأدب اليونانى

ن . ع

مقدمه بقلم المترجم

الأدب اليونانى ليس التراث الاغريقى فحسب

حظيت أعمال أدبية لكثير من القصاصين والروائيين والشعراء اليونانيين المعاصرين بالترجمة لا الى الانجليزية والفرنسية فحسب بل والى الألمانية والايطالية والبلغارية وغيرها من اللغات ايضا .. وقد ترجمت رواية « الخطأ » للقصاص اليونانى المعاصر اندونى ساماراكى الى خمس عشرة لغة .. منها اللغة اليابانية وصدرت الترجمة التى أجراها أحد أساتذة جامعة طوكيو فى طبعة انيقة من احدى دور النشر بطوكيو . وتعتبر اعمال اندونى ساماراكى من اكثر الأعمال الأدبية رواجا . وطبعت مجموعته القصصية « مطلوب أمل » طبعة خامسة من ٢٥ ألف نسخة . ويمكننا أن نعرف من هذا العدد مبلغ اقبال اليونانيين على قراءة الأعمال الأدبية . وقد كتب النقاد عن اندونى ساماراكى بمختلف اللغات . فكتب عنه ماكس تاو بالألمانية قائلا : « اننى أومن بساماراكى ، واعرف انه بعمله يستطيع ان يعطى العالم الأمل الكبير ، فى أن يحيا الناس وقد سادهم الفهم والأخوة » . وفى كوبنهاجن كتب عنه جاكوب بالودان : « كاتب فذ . من المتعذر أن تقرأ أعماله دون أن تحس بشجن حقيقى » . وكتب ادوين جاهيل الأستاذ بجامعة الينوى : « ساماراكى واحد من أكبر كتاب العالم . صوت من اليونان يتحدث الى الانسانية بأسلوب عصرى مدرك لمسئولياته ، يتحدث عن التناقضات والقلق ، ويدين الوحشية والحرب والعنف والفقر والحرمان من الحرية » . أما أحدث أعمال ساماراكى فهى روايته « الخطأ » التى كان لها وقع كبير فى مختلف الأوساط الأدبية فى اليونان وخارجها ، فحصلت فى اليونان على جائزة الاثنى عشر ناقدا ، وهى توازى « جائزة جونكور » فى فرنسا . وعندما ترجمت رواية « الخطأ » الى الفرنسية ونشرتها دار النشر « ستوك » عام ١٩٧٠ نالت جائزة أحسن رواية أجنبية مترجمة . وقد كتب عنها الروائى الكبير جراهام جرين : « انها تحفة أدبية حقا ، كتبت بقلم متوقد

وصنعة فريدة » وتحكى الرواية احداث يومين فى حياة فرد عادى اشتبه البوليس فى أمره فالقى القبض عليه . ومضى رجال السلطة يحاولون انتزاع اعترافه أو ادانتــــه من واقع أفعاله وســلوكه ، وبعد أن تمضى الرواية فى هـــذا الاتجاه يحدث ما يغير مجراها ، ثمة « خطأ » اكتشف . انه عمل يتعدى أبعاد الرواية البوليسية ويقودنا بمنهج شـــديد الذكاء الى الحدود غير الآمنـــة بين الوهم والحقيقة . ويجرى الآن اعداد هذه الرواية فيلما سينمائيا فرنسيا. وليست هذه المرة الأولى التى تتحول فيها أعمال أندونى ساماراكى الى أفلام سينمائية ، فقد قدمت السينما اليونانية أيضا قصـــته « النهر » فى عمل سينمائى ناجح .

واذا كنا قد وقفنا مليا أمام أعمال أندونى ساماراكى فقد قصدنا من ذلك أن نشير الى الصلاحيات التى تنطوى عليها الحياة الأدبية اليونانية المعاصرة ، وانفتاحها على المستـــوى الأوربى والعالمى . ولاشك ان الترجمة من اليونانية الى مختلف اللغات الأخرى تؤدى دورها الفعال وتبرز امكانات تلقى الأدب المعاصر فى الخارج ، ان اليونان ليست فحسب ذلك التراث الأغريقى الذى مضى عليه ما يقرب من الفى عام بل ان اليونان هى أيضا أعمـــال الفن والأدب التى تنتجها قرائح أدباء اليونان وفنانيها اليوم . وقد أخذ الأدب اليونانى المعاصر يعرف طريقه الى العديد من جامعات أوربا وأمريكا ومعاهدها المتخصصة . وتزداد هـــذه اقبالا على دراســـة الأدب اليونانى المعاصر وترجمته الى اللغات المختلفة .

ويجدر أن نشير الى أن القارىء اليونانى بفضل حركة الترجمة النشطة الى اليونانية يعرف الـكثير من أعمال الأدب العالمى ، بل والملحوظ جيدا ان دور النشر اليونانية باتفاقات خاصة مع الناشرين فى العواصم الأوربية تترجم الـكثير من الأعمال الأدبية الأجنبيـــة فور صدورها بلغاتها الأصلية . والقارىء اليونانى مشوق الى التعرف على الأدب المصرى المعـــاصر الذى لا يعرف عنه الـكثير ، وذلك على الرغم من احساس اليونانيين بأنه كان بامكانهم وقد عاشـــوا طويلا فى مصر الحديثة أن يكونوا أكثر التفـــاتا الى أدب بلادنا .

والـكتاب اليونانى بصفة عامة يتصف بأناقته وحسن طباعته ، وهو فى أغلب الأحيان ليس بالزهيـــد فى سعره ، فالفكرة السائدة فى أوساط الـكتاب والناشرين ان الـكتاب الأدبى سلعة يجب أن يحقق لمؤلفه وناشره دخلا مناسبا ، وان الاقبال على شراء الـكتاب

انما يأتي بعد أن يضمن القارئ لنفسه حاجات الحياة ومطالبها ولهذا فان مشترى الكتاب اليونانى عادة يكون من المقتدرين ، وان كان تزايد نسبة توزيع الكتاب اليونانى يشير الى التحسن المطرد فى المستوى الاقتصادى للمجتمع اليونانى بصفة عامة .

وما دمنا بصدد الحديث عن الكتاب اليونانى فجدير أن ننوه بسلسلتين منتظمتين تنشران الأدب اليونانى المعاصر ، أما السلسلة الأولى فهى بعنوان « الأعمال المنتقاة من الأدب اليونانى الحديث » وتصدرها دار النشر التى تصدر عنها مجلة « نياستيا » وتقرأ فى قائمتها أعمالا لتيوتوكا وباباندونيو وكاركافيتسا وميرويفيلس وبريفيلاكيس وكارجاتزى ، وبيتسالى ذيوميسذى وآخرين ، أما السلسلة الثانية فهى التى تصدرها فى طبعات رخيصة دار النشر غالاكسيا بعنوان «مكتبة الكتاب اليونانيين والأجانب» ذات الغلاف الأزرق .

ولما كان اليونانيون قد عرف عنهم انتشارهم فى بقاع العالم فان كثيرا من الأعمال الأدبية التى ينشرونها تحتوى على خبرات وأحاسيس مختلفة تنضح بارتباطات باقية بالبلدان والشعوب التى عاشوا على أرضها . وقد طالعتنا مجلة « نياستيا » نصف الشهرية بأحد اعدادها الأخيرة بقصيدة لشاعرة عاشت فى مصر وحملت الى اليونان حبا عارما لمصر وأهلها. هذه الشاعرة هى كيتى باباذاكى ــ كارميتسا وتقول فى قصيدتها بعنوان «ساعة الصلاة» :

« يتأهب حسن ومحمد وسليم للصلاة ، غسلوا الأقدام وبسطوا على الأرض ثوبا رخيصا نظيفا . منكسى الرءوس خاشعين ركعوا متجهين بوجوههم نحو المشرق . خفيضى النظرات ، تتمتم الشفاه بآيات من القرآن ، كلمات حكيمة . وفى الغرفة مغلقة النوافذ تخلع نجية ملاءتها السوداء ، وتضع على الرأس طرحة بيضاء . تميل الشمس للغروب . تمهلت لحظة تمتع السمع بصوت مؤذن الجامع المديد يقول : « لا اله الا الله » والنيل يصغى بانتباه . وقد سكن سعف النخيل . الكل يطلب الصمت . فى الدروب الضيقة الفقيرة يكف الضجيج ، وفى الأحياء الغنية أيضا يبطل الصخب يرتفع النداء « لا اله الا الله » والقاهرة بأسرها تحتضن صوت المؤذن الحبيب . وصل الصوت الى قلبى المؤمن . وتمتمت شفتاى مع حسن ومحمد وسليم : « لا اله الا الله » الله واحد بالنسبة لنا .. كلنا على هذه الأرض . كلنا سواء » .

ولقد سعت التيارات الأدبية فى اليونان ـ على الأخص فى مجال القصة والرواية ـ الى الاستفادة بالتجارب المعاصرة ، سواء فى الشكل او المضمون . فقدم كتاب اليونان انتاجهم القومى فى قالب عصرى ، ويفخر الأدباء اليونانيون بأنهم يثرون بعطائهم الأدبى الأوربى ، ويرفضون التقيد بالمحلية ، ومن ثم تخلصوا من الحذلقات والزخارف اللفظية مقربين لغتهم الأدبية من لغة كل يوم . وقد اخذت شخصية الأديب اليونانى تتضح بجلاء فقد طوع اسلوبه بحيث لم يعد يكتفى بأن يقدم لقارئه لوحات « شعبية » فحسب ، بل استخدم لغته للتعبير عن رآه الذاتية من خلال اختيار موضوعاته وتفسيراته للمواقف والأبطال . كما ان ثمة تيارا جديدا بدأ يغزو القصة اليونانية الحديثة نجده على الأخص لدى جورج تيوتوكا . وذراسوس كاستاناكيس وكاراجاتسيس ، وهو تيار الكتابات اللامحلية عن احداث تدور فى بقاع أخرى من العالم غير اليونان ، او بين شخوص من جنسيات أخرى . وقد جعل بانايوتوبولوس العديد من ابطاله فى قصص مجموعته الأخيرة «فلامينجو» الصادرة عام ١٩٦٣ من الأفريقيين السود يصارعون من اجل التحرر من اغلال العبودية . وقد ساعدت هذه اللامحلية على تجديد الاطار الخارجى للموضوع وعلى نقل المعالجة السيكلوجية الى مستويات اخرى غير تقليدية .

ولئن تعددت القصص اليونانية التى تلت الحرب وتنوعت ، فانه يجمع بينها محاولة ربط القومى بالعالمى، واعلاء النظرة الديناميكية الى الوجود الانسانى على النظرة الاستاتيكية . واخيرا نجد الكتاب اليونانيين الجدد ، سواء واجهوا الفرد أو واجهوا الجماعة ، يصلون فى اعمالهم الى مشكلات تتعدى الوسط اليونانى ، وتقتضى حلولها التقصى عن مدلول اشمل للانسان ، وبذلك يساهم الأدب اليونانى الحديث فى اثراء التجربة الانسانية العالمية .

واخيرا ، فقد توخينا فى هذه المجموعة القصصية الجديدة التى نقدمها للقارىء ان تتنوع مادتها وتتعدد جوانبها ، مما نرجو معه ان تدخل طلاوتها السرور الى قلب القارىء فيشعر بالمتعة التى يحققها الأدب الرفيع بأى لغة من لغات البشر .

د . نعيم عطية

النورس

إيليا فينيزي



النورس

الجزيرة الصغيرة فى شمال « ليزفو » الواقعة بين « بيترا » و « موليفو » جرداء ومهجورة . ليس لها اسم ، والصيادون الذين يعملون فى مياه تلك النواحى يطلقون عليها « الجزيرة» فحسب دون أدنى اضافة . وباستثناء شجيرات الحسك والشوك التى تغطى اديمها ليس بالجزيرة شجرة واحدة . تلوح على بعد ثلاثة أميال جبال « ليزفو » وادعة متآلفة الخطوط والألوان والحركة . وبازاء تلك الوفرة التى تكتسى بها الأرض المقابلة تبدو الجزيرة العارية بخطوطها الصارمة أكثر عزلة ووحشة .

ولكن من جزازة الأرض المستطيلة هذه ، بامكانك فى الصيف ان ترى الشمس تسقط فى رحاب اليم المترامى الأطراف . وعندئذ تصطبغ المياه بشتى الألوان ، وتمضى متغيرة فى كل لحظة كما لوكانت تذوب فى الأمواج الزاهية. وعندما تكون الأمسيات صحوة والسماء صافية ، يمكنك ان تميز جبال آثور تبزغ من البحر الرحيب ، على انها لا تلبث ايضا ان تخبو مع الليل الذى يخطو قادما . فى هذه الساعة ، سوف يأتى العم ديمترى قاطن الجزيرة المهجورة الوحيد — سوف يأتى بالحركة الأخيرة التى تربطه بالبشر والحياة ، سوف يوقد النور فى الفنار . وسوف يبدأ هذا النور يضىء وينطفىء ، ثم يمضى يضىء وينطفىء فى الفترات المتقطعة ذاتها بصرامة وحتمية ، مثل القوى الغامضة فى الحياة ، مثل قدر الانسان ، ومثل الموت .

جذب حارس الفنار العجوز القارب على الرمال ، ووضعه فى مكان امين ، فقد ينقلب الجو بالليل فتمتد اليه المياه . ثم ألقى عليه نظرة اخيرة قبل أن يمضى فى طريقه الى الفنار .

— اذن ، انتهت هذه الرحلة أيضا ..

قال ذلك بصوت خفيض .

قال ذلك لنفسه وسكت. هذه الرحلة الى الشاطىء المقابل يقوم بها مرة كل شهر . يذهب الى هناك من أجل مؤنته ، من أجل الدقيق والزيت ، ومن اجل سائر لوازمه . فى أول الأمر ، كان فى كل رحلة يقضى فى القرية اليوم كله ، يتجاذب أطراف الحديث مع

اصدقاء قدامى ، يعرف أخبارا عن البلد ، وعن البشر ، يعرف ما اذا كان الناس فى حرب أم فى سـلام .
كان صراف الجمارك ينقده مرتبه قائلا :
ــ كل شهر وانت طيب ، ياعم ديمترى .. !
كان العجوز يهز راسه شاكرا . ويقول له :
ــ اراك بخير ، يابنى ، ان كان لنا عمر .
فى الساعات الباقية الى أن يحين أوان عودته الى « الجزيرة » كان يصعد الى كنيسة العذراء الصغيرة ، متسلقا درجاتها المائة المنحوتة من الصخر ، كى يؤدى صلاته . كان يشبك ذراعيه أمام الأيقونة القديمة ، ويخفض راسه ويصلى من أجل ولديه اللذين فقدا فى « نكبة الأناضول » ، ومن أجل سائر البشر ، وأخيرا من اجل نفسه .
ــ لو كانا على قيـد الحيـاة ، يا الهى ، احفظهما .
هكذا كان يبتهل من أجل ولديه .
ــ احفظهما من ثورات الغضب ومن شرور الزمن ، ومن الشجار وحد السكين ..
ثم كان يتمتم بالصـلاة ، وبما كان يعرفه من تراتيل . وتدب الرعشة فى ساقيه الهرمتين .
كان يقول :
ــ آن أوانى كى استريح بدورى .
وتغرورق عيناه بالدموع .
كل مرة ، كان ينزل الدرجات المائة ، وقد زاد قلبه ارتياحا . فى الشارع ، كان يقف ويتابع الأولاد وهى تلعب . جميعا يعرفونه فاذا ما راوه صاحوا به :
ــ عم ديمترى ! عم ديمترى !
كان يشترى لهم بندقا ويوزعه عليهم ، فيهللون فرحين :
ــ لا تتأخر فى العودة الينا ، أيها الجد العزيز ! لا تتأخر !
هذا ما كان يحدث فى كل رحلة . كل مرة . ولـكن كلما ولت السنوات قلت الفته بالناس . وازدادت العزلة استحواذا عليـه يوما بعد يوم . كانت تمتصـه ، كما لو كانت تقطر فى كيـانه سطوتها المخيفة . مضى فى كل رحلة يقلل قدر امكانه من الوقت الواجب قضاؤه فى القرية من أجل أعماله .
ثم كف أيضا عن الصعود الى كنيسة الصخرة .

ـ سامحني لأنني ما عدت أستطيع .
هكذا كان يخاطب الرب . ثم يردف قائلا :
ـ اينما كنت استطيع أن اصلي اليك ، لترى مبلغ ضعفي .
وعندما يعود الى جزيرته بعد كل رحلة ، يظل ردحا طويلا من الليل يصلي .
ما عاد يسأل عن اخبار ، ما عاد يسأل عما يجري في الدنيا . لم يعد يعرف عن ذلك شيئا . مع فوات النهار ينحسر العالم من حول الجزيرة المهجورة ، وتنغلق على نفسها ومن حولها البحر العميق ، تتراقص على صفحته الألوان والشمس في طريقها الى المغيب .
آخر الصحاب الذين تبادل معهم الحديث ، كانوا بعضا من الصيادين الذين يرسون بالجزيرة مليا ، وقد وجدوا لديهم من الوقت فسحة ليحطوا بها الترحال . كانوا يبقون على الشط حيث تخمد حركة الموج ، ويتحدثون عن شقائهم وقدرهم . في كثير من الأحيان يمضون الليل هناك . وعندئذ ، في الساعات الطوال الى أن تشرق الشمس ، كانت تفرغ احاديث الآخرين فتجيء الساعة المهيبة ليتحدث بدوره عن ولديه ايضا .
كان الصيادون يقولون له :
ـ من يدري ؟ ربما كانا على قيد الحياة ، ويجيئان ، ياعم ديمتري ، هكذا مثل نورسيك اللذين عادا اليك .
لم يكن ينطق بكلمة ، لم تكن تصدر عنه نامة . عيناه الساكنتان مثبتتان على اعماق الليل .
ـ اجل ، ياعم ديمتري ، مثل نورسيك . هكذا يمكن ان يعودا ، وياتيا . لا تيأس .
وعندئذ كان الصيادون ، يذكرون ـ بهذه المناسبة ـ نورسي عم ديمتري . يقولون له :
ـ حقا ، كيف امكنك أن تستأنسهما ، ياعم ديمتري . لم يسمع قط بان طيور النورس تستأنس ...
ويتمتم العجوز قائلا :
ـ هـذا ما يحدث ، يا ابنائي . الوداعة تسود ، هنا ، على الأرض ، تسود كل شيء ، عدا الانسان الذي يظل ضاريا .
كانوا يسألونه أن يحكي لهم مرة اخرى حكاية الطائرين ، على الرغم من انهم كانوا يعرفونهما كما يعرفها كل قاطني اليابسة المواجهة . وجدهما صغيرين بين الصخور ، فرخين لم يغط الريش

جسميهما بعد . كان الوقت شتاء آنذاك. أشفق عليهما ، وحملهما الى كوخه بالقرب من الفنار. احتفظ بهما ورباهما ، مطعما اياهما صغار السمك الذي يعلق بشبكته . ذات يوم ، خطر له أن يطلق على كل منهما اسما .

ـ ايه ، انت ، سنناديك ...

في ذكرياته ، في قلبه ، تلك الساعة المفعمة بالسكينة ، حوم وجها الطفلين عندما كان يناديهما وهما جد صغيرين :

قال لأحد الطائرين :

ـ اذن ، انت ، سنناديك فاسيلاكي. وانت ايها الآخر سنسميك ارغيري ...

وهكذا بدأ يناديهما منذ ذلك الحين باسمي ولديه . ورويدا رويدا الف النورسان هذين الاسمين .

عندما كبرا ، وجاء الربيع ، فكر العجوز ذات صباح انه ليس من الجائز أن يبقى الطائرين في الأسر. وقرر ان يطلق سراحهما. فتح القفص الكبير المصنوع من الغاب ، وامسك بأحد الطائرين . امسك به بين يديه ، وربت عليه . أحس بقلبه خفيفا .

قال للطـــــــائر :

ـ هيا ، اذن يافاسيلي ،.

وفتح يديه كي يتركه يطير .

طـــار النورس ورحـــل .

اخرج الآخر ايضا . لاطفه مثلما لاطف الأول . وتركه بدوره . كان كل شيء وديعا ذلك النهار ، وكذلك الليل عندما اقبـــل كان حانيا وديعا. كل ما هناك ، أحس العجوز انه ازداد وحشة وعزلة.

تلك الليلة ذاتها ، آوى الى كوخه مبكرا ، فسمع على شـــباكه الصغير دقات خفيفة . دنا منه والقى نظرة . لم يصدق . طار من شدة الفرح كما لو كان ابناه قد رجعا .

فتح الباب ليدخل النورســـان .

ومن ذلك الحين ، يحدث هـــذا كل يوم . يخرج الطائران في الصباح . يسافران الى يابسة الأناضول المقابلة ، يبلغان «ازيغرى» يرفرفان عليها بأجنحتهما ، وبالليل يعودان . في مرات عديدة كانا ينضمان الى اسراب من نوارس اخرى . وتطير جميـــعا في سماء الجزيرة المهجورة . فاذا طارت على ارتفاع خفيض ، أمكن للعجوز ان يميزهما بفضل ما كان لهما من نقط رمادية تحت الجناحين .

واذا ماخرج بقاربه كان الطائران بدورهما يحومان هنالك قريبا منه . يهبطان من ارتفاعهما ويزقزقان فوقه . كان الصيادون الآخرون في تلك النواحي قد عرفوهما ايضا . فاذا رأوهما صاحوا ضاحكين :
— هيه ، يا فاسيلي ، هيه ، يا ارغيرى ! ..
هكذا مضت الأيام في الجزيرة الموحشة . يتوالى الأمس واليوم والغد ، على ذات الوتيرة . سلسلة من الأيام الهامدة ، انهر وليال ليس فيها ما ينتظر سوى الموت .

***

ذات امسية من امسيات الصيف حدث أمر غير مالوف . لم يعد النورسان ، ولا ظهرا في اليوم التالي . انقضت الليلة ايضا دون ان يبدو لهما أثر .
— ربما سافرا بعيدا .
هكذا فكر العجوز متحايلا على قلقه .
وفي صبيحة اليوم التالي جلس — كما اعتاد أن يفعل — على رصيف الفنار . نظر الى البحر الرحيب . في لحظة ، خيل اليه ان اديم اليم تماوج ، على مبعدة ميل أو زهاء ، كما لو كان ثمة دلافين تمر وتلعب . مرات كثيرة ، رأى على بعد في البحر الفسيح ، الدلافين تمر . تابعها وهي تخط حركاتها المتكاسلة خارج الماء ، ثم تعود وتغطس في اللجة .
قال :
— دلافين هي ، هذه المرة ايضا .
ولكن بعد هنيهة رأى انها لم تكن كذلك .
قال مجفلا :
— انهم بشر .
نزل الى الشاطىء ، وراح ينتظر . بعد قليل تبين انهما ولد وبنت ، يسبحان جنبا الى جنب ، بحركات بطيئة واثقة . ومن ورائهما الأمواج الصغيرة تطمس الأخاديد التي يشقها في الماء جسديهما .
عاد يفكر قائلا :
— ترى ، ماذا يريدان ؟
لايذكر أن جاء الى هنا احد من قبل لممارسة السباحة . فضلا عن أنه لايبدو من حولهما اى قارب يمكن ان يكونا قد قفزا منه .
بعد قليل ، وصلا .
اندفع الجسمان المبللان من البحر الى الشاطىء .

نظر الفتى الى عينى الفتاة ، ومد ذراعيه عاليا .
قال وهو يستنشق الهواء بقوة :
ــ آه ! كم كان الأمر جميلا .
أتت الفتاة بذراعيها ذات الحركة، ولكنها اكثر بطئا ثم قالت مؤكدة :
ــ كم كان الأمر جميلا حقا !
بعد ذلك ، جريا نحو حارس الفنار .
قال الفتى :
ــ انت عم ديمترى حارس الفنــــار ؟
وقف العجوز مطرق الرأس، وقد امتلأ خشوعا امام جسد الفتاة العارى . يلمع فى ضوء الشمس الحارقة .
اجاب مرتبكا :
ــ انى انا . هل اصابكما مكروه ؟
ســـارع الفتى قائلا :
ــ آه ، كلا ! قررنا أمس أن نقوم بهذه الرحلة ، أنا وصديقتى، وها نحن قد جئنا .
سأل العجوز دهشا :
ــ من أين ؟
ــ من الشاطىء المقابل . من « بيترا » .
لايعرف العجوز ديمترى ماذا يقول . يتمتم فحسب بانه لايذكر ان أحدا جاء اليه من قبل ، فى رحلة مثل هذه .
ســـألته الفتـــاة :
ــ هل ذهبت الى اثينا ذات مرة ، ياجداه ؟
قال : كلا ، ولا مرة .
ــ هل تتمنى أن تذهب اليها ؟
بصوت خفيض ، يكاد لا يسمع ، قال :
ــ كلا ، يابنيتى . فات الأوان الآن .
ــ لابد انك فى غاية العزلة هنا ، ياجداه .
ــ انى فى غاية العزلة ، يابنيتى .
صـــمتوا . مضى بعض الوقت . عاليا مر سرب من النورس .
ينهض العجوز ، ويدخل الى الكوخ ليحضر لهما قليلا من المربى .
من الشباك الصغير بامكانه أن يرى الولدين وهما مستلقيان على وجهيهما وجسداهما لازالت ترتعش عليهما قطرات من ماء البحر.
لوحتهما الشمس بلا رحمة . انهما هناك مثل تمثالين من البرونز،

فجرهما البحر ، من صنع آلهة للصحة وآلهة للجمـــال أيضا . يتهدل شعر الفتاة الفـــاحم على كتفيها ، وفى عينيها السـوداوين يتألق نور عميق . ينهض الفتى قليلا ، ويميل على هذا الوجه الذى يغمره الضياء بالقداسة . يتطلع اليه منتشيا ، ثم يمد يديه ببطء ويتحسسه ملاطفا .

لا يقول شيئا ، يتمتم باسمها مرتعد الشفتين فحسب :

ـ خريسولا ..

ترتفع العينان الواسعتان السوداوان ، وتظلان برهة قصـــيرة ساكنتين ، مشبتتين على وجه الفتى . ثم تعقد الفتاة يديها خلف راسه ، وتطبع على ثغره قبلة .

هكذا ، كل شىء ، هذه الساعة المباركة ، بسيط وديع فى الجزيرة المهجورة . وفى قلب الرجل العجوز تسود الوداعة ذاتها . فاضت مشاعره هـــذا الصبـــاح من اصبحة الصيف ، وترقرقت . هـــذا الحنان غير المتوقع الذى جاء يزلزل وحشته ، حرك المياه الراكدة .

صـــاحت الفتـــاة من الخارج :

ـ جداه ، هل نأتى بدورنا الى الداخل ؟

يجيب مرتعدا :

ـ قادم انا . قادم !

احضر لهما مربى لوز ، وماء باردا .

يتمتم قائلا كما لو كان يريدهما أن يسامحاه :

ـ ليس عندى شىء آخر ...

تمسك به الفتاة من يده ، كى يجلس الى جوارها :

ـ اجلس ، اجلس ، ياجداه .

جلس ..

قال لهما وجلا :

ـ تعاليا غدا أيضا . بالليل ، ساصطاد لـكما سمكا .

تجيب الفتـــاة بحزن :

ـ اننا نرحل غدا . يا للخسارة اننا لم نحضر كل هذه الأيام التى كنا فيها هنا . هل انت فى هذه الوحشة على الدوام ، ياجداه ؟

ـ على الدوام ، يابنيتى .

يتمتم الفتى قائلا :

ـ آه ، الآن فهمت ماذا كان يعنى الطـــائران بالنســـبة لك .

ـ أجل ، يابنى . هذا هو الأمر . انها العزلة .

ثم عاد الفتى يقول بعد قليل :
ـ ... يجدر بك أن تغفر لهم ، ياجداه . لو كانوا يعرفون ماكانوا قد أقدموا على ما فعلوه قط .
لايفهم العجوز . يقف مندهشا .
ـ عمن تتكلم ، يابني ؟
ـ عن أولئك الذين قتلوا طائريك ، ياعم ديمترى . انهم أصدقاء لى .
أحس بركبتيه ترتعدان ، وقلبه يدق .
بصوت خفيض ، يسأل :
ـ تقول قتلوهما ؟
ـ آه ... ألم تكن تعرف ذلك ؟
يعض الفتى شفتيه ، ولكن فات الأوان . يخبره بالقصة : انهم صحبة من الشباب ـ خرجوا للصيد . نزلوا الى الشط . انخفض النورسان عن مستوى بقية السرب . أطلق صديقهما الرصاص من أجل أن يجرب . وبعد ذلك ، تعرف بعض الصيادين الذين كانوا على مقربة من المكان على الجناحين الموشيين بالنقط الرمادية .
مضى العجوز يصغى ، ويصغى . ليس فى الأمر شيء ذو بال . كانا مجرد نورسين .
تقول الفتاة بصوت دافئ ، وقد استولى عليها الأسى بسبب الحزن الأخرس الذى تراه باديا على الوجه الهرم :
ـ لم يكن يعرفون ، ياجداه ، لم يكن يعرفون ...
قال وهو يهز رأسه ببطء مقدرا :
ـ أجل ، أجل ، يابنيتى . انهم لم يكونوا يعرفون .
مضت برهة صمت طويل .
يقول الفتى :
ـ يجب أن ننصرف .
تنهض الفتـــاة .
ـ فلننصرف .
يمضيان فى المقدمة ، ومن خلفهما بقليل يأتى العجوز .
وصلوا الى الشـــاطئ .
بادرت الفتـــاة قائلة :
ـ ســـلامنا اليك ، ياجداه .
تتناول يده ، وتنحنى لتقبلها ، فيربت على شعرها الطويل .

يتمتم متأثرا :
ـ فليبارككما الله .
رحلا . أخذ يتابع وقتا طويلا الشق الذى يحدثه فى ماء البحر كل من جسديهما ، غابا عن أنظاره . وظل البحر أمامه دائم الوحشة ، مترامى الأطراف .
يهبط الليل . كان قد جلس الى الرصيف ، والساعات تمر . كل شىء يتتابع أمام عينيه المعتمتين : سنوات صباه ، الولدان اللذان رباهما ثم ضاعا ، الناس الذين أذاقوه المرارة . كل شىء يخطر ، وكل شىء ينطفىء ، الولدان اللذان تبادلا القبل هنا فى هذا المكان ذاته ، منذ بضع ساعات خلت . سرب من النورس يطير عاليا ، نورسان لهما جناحان على ريشهما بقع رمادية، وهذه تمر وتضيع أيضا . ما من شىء يعود أبدا .
أطرق رأسه ، انحدرت دموعه الى الأرض اليابسة ، من فوقه كان نور الفنار يومض وينطفىء ، مرة تلو مرة ، فى الفترة الزمنية ذاتها ، بصرامة ودون أن يكون منه ثمة مفر ، مثل القوى المظلمة فى الحياة ، مثل قدر الانسان ، ومثل الموت .

المغني

يوانيس بانايوتوبولوس



المغني

اشتريناه ذات يوم مطير في جنيف . قلنا فلنشترى أيضا ديكا فأخذه الى البيت ، ليكون فوات الوقت ، أقل وطأة ، وليخفف عن القلوب السأم والرتابة . لأن هذا النوع من الساعات ذات الديكة ، بطابعها البيتى الأثير تنسجم فورا مع الأشياء وتتصادق سريعا مع الأحداث ، ويصبح ديكها الرفيق الحبيب لكل لحظة . ينفث في السكون المخيم صوتا ناعما صبورا ، لحظة مفعمة بالحنان والخشوع تدخل الأمان والهدوء الى القلوب .

كم كان جميـــلا ذلك الـكوكو . كان كله من الخشب الأبيض المنقوش ، يذكر بالغابة في منتصف الشتاء . كانت الساعات مكتوبة بأحرف لاتينية بيضاء ، ولم يكن ذلك البياض شاحبا مثل بياض السكر أو اللبن ، بل كان بياضا طازجا مثل حبة اللوز النضرة . لون أبيض مثل بياضها . وحول ذلك اكليل من ورق الشـــجر الداكن ، واوراق أخرى عالية فوق السقيفة ، يتوسطها طائر صغير . ومن الباب السفلي تتدلى ثلاث سلاســل طويلة نقشت على طرف منها حبات الصنوبر . وعندما ينتصف النهار في الظهيرة ، وعندما يتقدم الليل حتى منتصفه تتدلى هذه الحبات الى الحد الذى يحتاج أن يجذب المرء السلاسل من طرفها الآخر حتى يعمل الـكوكو .

كانت جدران ذلك الدكان في جنيف الذي دخلناه تحت وابل من المطر ، مغطاة بساعات كثيرة من هذا الصنف . كل منها عالم بذاته ، مختلف عن غيره . وباستطاعتك اذا كنت لماحا مفتوح العينين ان تختار عالمك . أشار الولدان الى الساعة . جربناها ، تأكدنا من أنها تدق معلنة الساعات . وتحت السقيفة كلما اكتملت من الزمن ساعة ، أو نصف ساعة انفتحت نافذتان في هدوء . من احداهما يطل الطائر يصيح مؤذنا بالوقت . ومن الأخــرى يخرج انســـان صغير ، انه المغني ، يشدو ببضع عبارات موجزة ، بأغنية قصيرة . وكان للأغنية اسمها المطبوع على الجانب الخلفى . «طيور الروابى»

وهكذا جاء الـكوكو الى أثينا ، الى البيت ، في صندوق كبير ، محاطا بالـكثير من لفائف الورق ونشارة الخشب خشية أن يصاب

بالتلف في رحلته الطويلة . واصبح رفيق كل لحظة ، الحبيب الى كل القلوب . في أول الأمر ، كان الأولاد يهللون ويطربون أشد الطرب كلما سمعوا الكوكو الصداح مغردا ، وفي أعقابه المغني يشدو باغنيته . كان الأولاد يريدون أن يجذبوا السلاسل ، وأن يمضوا في جذبها بلا توقف . ولكنهم ما لبثوا أن ملوا الأمر في النهاية . وما عادوا يزعجون الكوكو أو المغني . تركوهما يندمجان مع سائر أشياء البيت ويصبحان من علاماته المميزة ، ضمن سائر العلامات الأخرى.

الى أن جاء ذات يوم خرج الكوكو فيه من نافذته وصدح ، لكنه صدح وحيدا ، ولم تنفتح النافذة المجاورة . فقد لزم المغني الصمت . تبادل الجميع النظرات فجاة وتساءلوا :

- ماذا جرى للغناء ؟ ماذا أصاب المغني ؟

كان الشيء المؤكد ان ثمة صوتا حبيبا قد صمت .

وتيتم البيت فجاة . انتصفت الساعة ثم اكملت دورتها بعد ذلك ، وظل الديك يدعو جاره أن يفتح النافذة دون جدوى .

قلنا أن ناخذ الساعة الى مصلح الساعات . كان الأمر صعبا ! البيت بعيد ، بعيد جدا . قلنا لا يليق ان نحمل الساعة اليه ، فلنحضره الى البيت . صعب كل شيء وعسير ! ليس لدى صانع الساعات وقت أن يمضي مسافرا من بيت الى بيت جريا وراء الساعات المريضة . وفي النهاية لم نفعل شيئا . وربما كان المغني في حجرته الضيقة يعتب علينا هذا الاهمال ولكن شواغل أخرى كثيرة طرات أيضا في تلك الأثناء ، كما تطرأ على الدوام في حياة الانسان ومصيره ، ونسينا المغني . اقبل الشتاء واشتد زمهريره ، والكوكو ذلك الطائر اليتيم يخرج في عزلته الى نافذته يعلن الساعة ونصف الساعة . يدور نصف دائرة من هنا ونصف دائرة من هناك. وتتجمع الساعات الى جوار الساعات ، ويتحول النهار ، وينقضي الليل ، وتتبدل الفصول . ياتي الربيع ثم الصيف ، ثم يقبل الخريف من جديد ومن بعده شتاء آخر . وهذا امر على غاية من البساطة وعلى غاية من الجسامة معا . انه زمن الانسان ، ممزق ، خراقى ، مليء بالجمال والمرارة .

ذات ليلة وانا سهران منكب على كوم من الورق اذا بى اسمع الغناء ينسكب في السكون المخيم ، وتفد الى « طيور الروابى » بكلماتها العذبة . من يستطيع أن يدرك مدى ما عاناه المغني كي يتغلب على ركوده ويقوى على الخروج الى نافذته ؟ وقلت لنفسي :

« ان هذا لأمر رائع ! » اجل ، انه رائع ! الانســـان الخشبى الصغير بسترته الخضراء وصدريته الزاهية وسرواله القصير وقبعته التيرولية ذات الريشة النافرة ، والخدين المنتفخين ، الروح الطاهر فى البيت ، عاد الى صحبتنا من جديد . وباعتقادى أن لديه الكثير مما يريد أن يقوله لنا ، الـكثير من الغرائب حقا . ان العزلة تملأ عقل الانسان بالأفكار وتطلق العنان لأحلامه . ولكن المغنى المسكين لم يكن لديه سوى أغنية ، رتيبة ملتزمة . ووجب أن تتسع هذه الأغنية لـكل شىء ! دار بخلدى هذا الخاطر، وخواطر شبيهة أخرى ايضا . ثم سمعت الشباك الصـــــغير يغلق . فتركت كوم الورق وشأنه وانتظرت مجىء موعد اعلان انتصاف الساعة ، ثم موعـــد اكتمالها ثم موعد انتصافها وموعد اكتمالها من جـديد . وشعرت بالليل يوغل من حولى ويزداد اتساعا ، دون أن يعود الشـــــباك الصغير الى الانفتاح حتى انتصف الليل ثم اقبلت خفيفة الخطـــا الساعات الأولى للنهار الذى أوشك أن ينضج على غصن الظـــلام العارى . وعندئذ عدت أقول لنفسى اننى ربما لم اسمع المغنى قط وان كل هذا مجرد لعبة من الاعيب الخيال .

جلست اليوم التالى ورويت الأمر للآخرين . فاندهش الجميع. وعلق الأولاد أبصارهم بالشباك الصغير المغلق . وقد احسوا براحة جد عميقة عندما عرفوا ان المغنى لم يمت . كان الأمر مؤكدا ، انه لم يمت . وتمنيت ان يخرج الانسان الصغير البهيج بعد قليل ويغنى مرة اخرى . وقد وجد الـكوكو أيضا انيسه من جديد . ووجدنا نحن الصديق الحبيب . ومنذ ذلك الحين بقى الحال على ذلك المنوال . فى اللحظة التى لا يتوقعه أحد يفتح المغنى نافـذته ويغنى . مرة ومرتين فى اليوم . ثم يلزم الصمت اياما عديدة ، اسبوعا وأسبوعين ، تخلص المغنى من الضرورة . تحلل من الالتزام وظفر بحريته . هـــذا كل ما فى الأمر . انه يغنى الآن بمزاجه . ولهذا تكتسى اغنيته بطابع منفرد فى كل مرة ، تصير صوتا غير خاضع ، طلبا متجددا على الدوام . لقد علم الصمت المغنى أشياء كثيرة ، ونفخه بارادة خاصة به ، جعلته اكثر انسانية .

لاشـــك ، اننا فى كل وقت نستطيع أن نذهب به الى مصلح الساعات ، ونخضعه لقانون الآلهة الصارم ، ونحكم عليه بأن يكرر نفسه بانتظام ونمطية . ولـكن من هذا الذى قسا قلبـــه حتى يقدم على عمل مثل هـــذا .

صورة فتاة

يوانيس بانايوتو بولوس



صورة فتاة

كانت القاعة رحبة ، مربعة الحجم تقريبا ، اربعة جدران لا نهاية لها . بالطابق الاول من البيت . تصعــد الدرج الرخامى ، ثم تقابلك نخيلات الزينة فى الاصص على العتبة . نظم صاحب البيت معرضا تذكاريا للبورتريه . وفى كثير من الاحيان ، تتضمن هــذه المعارض التذكارية من الاشجان قدرا كبيرا ، وذلك مثلما يحدث لك ، عندما يتصادف ان تجلس ، فى مساء شتائى خافت الضوء عليل وتنبش لفافة من الصور القديمة . او مثلما يتصادف ان تجد نفسك وحيدا فى الطريق ، بالليل ، وتطالع النوافذ المضيئــة مرهف السمع الى الريح فى صفوف الشجر . هناك تفاصيل صغيرة تظل ساكنة فى القلب ، ولعل فى هذه التفاصيــل وحدها تتبلور الحياة الخاصة لــكل انسان .

القاعة رحبة ، مربعة تقريبا . كساها صاحبها بورق رمادى فاتح اللون ، كى تزداد الاطر الذهبية بريقا . وقد جمع البورتريهــات من بيوت عديدة ، غنية وفقيرة ، ولم يرفض احد اعطاءه ما لديه، لان الجميع يعرفون كم كان هذا الرجل محبا للفنون ، حريصا ، مخلصا لعمله ، لا تحركه منافع مادية ، وهو الامر الذى يصعب ان تجده فى هذا العالم . بل وطبع دعوات انيقة للمعرض : « مائة عام من لوحات البورتريه » ورتب المصورين ترتيبا تاريخيا بحيث لايتسنى لاحد ان يتذمر . اشياء تقليدية ، ليس لها بطبيعة الحال مغزى ، ولــكن يحدث فى كثير من الاحيان على اى حال ، ان يضفى عليها الجهد الانسانى الفانى ــ اقصد السعى الانسانى نحو المجد الزائل ــ يضفى عليها دلالة .

ذهبت الى المعرض امسية الافتتاح . كان الجو ممطرا ، والمظلات السوداء المفتوحة تملأ كل مكان . الخطوات على الاسفلت زلقة ، والاضواء عيون ناعسة ، والعربات ــ وقد كانت عديدة ــ تصعد وتنزل الطريق زاحفة ، فى المطر شحنة من الشعر جعلت كل قطرة من رخاته زهرة تفتحت . كانت الانوار فى القاعة وضاءة . ذابت فى وهجها الاطر الذهبية وتلالات ، ومنها خرجت الشخوص واختلطت

بالمتفرجين . رجالٌ عنوا باللحية والفودين . قبعات عاليـــة ، حللٌ سهرة ، عصي زينت بنقوش محفورة ورءوس فضية . مآزر ملقاة على الاكتاف ، وشيلان ، ونظارات انحدرت الى أطراف الانوف ، أزياء رسمية ومهاميز ، وريش ، وأوسمة عديدة . كانت هناك أيضا نساء يلبسن أحذية حريرية وفساتين طويلة ، متماوجة موشـــاة مطرزة محلاة بالشرائط والخرز ، اكتاف بيضاء محاطة بأوشـــحة شفافة ، قفازات مديدة واصلة الى الـكوع أو الى أعلى من ذلك قلائد وأساور وساعات صغيرة ذهبية تتدلي من عرى الثيـــاب . اناس ذوو نفوذ وقواد ومعارك ، اهل فن وثراء ، نجوم مجتمع ، حكماء ، رجال معذبون ، أسماء معروفة ، واخرى منسية ، ومن حول هؤلاء جميعـــا يحوم الموت على كل شيء . يذكرك مرآهم بالمقبرة . كانت تشكل مجتمعا غريبا تلك البورتريهات التيٰ تتمدى أطرها فجاة وتنزل تندمج مع الأحياء وتنصت للمطر الودود الذيكان بدوره مفعما بالحيوية ويغنى فى دروب الخريف . وبالأغوار، وسط الحائط ، صورة فتاة شابة . وجه تغمره الشمس فى بستان ، وجه تضيئه اشمة مصفاة تخللت اغصانا نضرة . أذكر الوجه والقوام ، والثوب الفضفاض المتماوج ، والقبعة العريضة ، والمظلة الكبيرة . أذكر العينين القطيفيتين اللاطفتين ، والشفتين دافئتى الرضاب ، متفتحتين كزهرة ، هكذا تحس بهما ، والنهدين تدرك من وراء الثوب مبلغ تماسكهما ، والذراعين اللتين خلقتا للعناق . كان الاحتمـــال بعيدا أن يكون قد وجد هـــذا الجسد ، وهذا الوجه الذى كان ومضة خيال اكثر منه حضورا ماديا . ولم يكن الأمر راجعا الى فن المصور الذى بامكانك أن تعتبره نموذجيا أيضا ، بقدر ما رجع الى شباب الفتاة الوامض، الواثق المتفتح، فهذا هو الذيكان يسحرك حقا . اقترب منى صاحب البيت . كانت السعادة تغمره ، تلك الليلة ، وسط الجمهور الغفير ، والاحاديث ، وعبارات الدهشـــة والاعجاب ، والتأثر ، وسط الأبناء والأحفاد .

قلت له :

ــ خبرنى عن اسمها .

ــ رجانى اهلها الا اذكره لأحد ابدا .

ــ هل تعرفه ؟

ــ بلا شك ، أعرفه .

ــ الا زالت موجودة أم لا ؟

اتى بحركة مبهمة ، وقال لى :
ــ ربما كانت موجودة .
عدت اقول له :
ــ من الشائع ان تسمى لوحة البورتريه بالأحرف الأولى من اسم صاحبتها .
رد على قائلا :
ــ هل قرات الكتالوج ؟ حتى هذه الأحرف الأولى لا وجود لها. لم يكن يريدون ذلك اكتفوا للوحة بعنوان « فتاة الأيام الجميلة ».
ــ يعنون بذلك ما قبل الحرب الأولى .
ــ أجل ، قبل الحرب العالمية . لا تصر. سواء أكان الأمر كذلك أو لم يكن ، فهذه الصبية ماتت .
كان المعرض يفتح أبوابه فى التاسعة صباحا . امضيت ليلة لازمني فيها الأرق... عينا الفتاة ، خداها ، شفتاها ، كل ذلك كان يلمع فى الظلام . جمال ممتلىء ، برىء ، غير مخدوش . جمال لم يكن بالامكان أن تستوعبه كله فى صدرك، فيفيض ويغمرك بضيائه.
اثينا تهدم ، ويعاد بناؤها ، تفقد روحها القديمة ، والى أن تكتسب روحا جديدة ستمضي سنين وسنين . وبين الحين والحين يصادف المرء بين الاطلال والأبنية الجديدة البيوت التى عاش فيها من طواهم الموت من الأجداد ، والسلمات ذات الدرجات العريضة اللولبية ، والعتبات التى صفت عليها الأصص الكبيرة ، حيث تفتحت اوراق نخيلات الزينة النضرة ، وثبتت المرايا التى صنعت بفينيسيا، والثريات المدلاة من الأسقف الخشبية المزدانة بالرسوم ، واللوحات التى مضت عليها العديد من السنين فى اطرها المذهبة المعتمة . فى بيت مثل هذا ، كنت ارى الفتاة صاحبة الصورة ، وقد انفصلت عن اطارها ومضت تصعد السلم درجة درجة ، يتثنى قوامها فى دلال . كانت الابنة الوحيدة ، تدرس الفرنسية ، وتتدرب على البيانو . كانت لديها مروحة كبيرة تروح بها عن نفسها فى ليالى الصيف اثناء حضورها المسرح . فى تلك الأيام التى كانت تقدم مسرحية «كونت لوكسمبرج» تهوى الشعر، ترتدى فساتين طويلة ، وحذاء عاليا ، وتتهامس مع صديقاتها عن الشبان المتأنقين الذين يمرون تحت شباكها ، يدقون بلاط الرصيف بعصيهم العصبية ، وتند منهم تنهدات عاطفية ، كان أبوها من كبار القضاة ، أو شيء من هذا القبيل بالطبع. يجلس فى كرسيه يربت على لحية ذقنه. يقرأ

« الأستيا » يفتح كيس تبغه . يلف لنفسه سيجارة ، ويناقش أمور السياسة بحماس . أما الأم فهى ابنة احد الضباط الكبار، أو شيء من هذا القبيل بالطبع . تعد فى المطبخ بيديها الفطائر ، تضع لعصفور الكناريا ورقة خس ، تغزل جوارب ، وتتصفح مجلة «نجمة الأسرة » . الى هذا العالم كانت تنتمى الصورة . فى تلك الأيام كان الرجال يشيخون فى الاربعين ، وكانت النساء يحملن فى حقائبهن زجاجات النوشادر لعلمهن بأن آداب السلوك توجب أن يغشى عليهن من وقت لآخر .

وكان يحدث أن يأتى الحب ، الحب الكبير ، الحب بلا أمل ، الحب المتغنى به فى أغنيات مثل « بنت علقت على صدرها صليبا من ذهب » و « لو راحت تلك الأيام ، ايام الحب السعيد » وغير ذلك من أغانى الحب فى الحياة والممات . الوقت متأخر فى الدرب الهادي الساجى فى الضوء المرتعش المنسكب من مصباح غازى . انغام قيثارة تعزف تحت شباكها الذى وورىت ضلفتاه . تتنهد مع رياح يناير الشتائية ، مع المطر ، مع قيظ الصيف. ازمان وأزمان ما من احد كان يعير الأنغام التفاتا ، وهى لا تنوى السكوت . ثم درس عازف القيثارة فن التصوير . صار طوال اليوم يجلس يملأ الصفحات برسم وحيد ، لايستبدله بموضوع آخر ، وجهها هو الموضوع الوحيد . يجلس يملأ مساحات المشمع الوانا ، كى يتسنى له أن يمسك بشيء من ضيائها . وفى النهاية ، وهو عائد ذات ليلة من معهد الموسيقى ، تلكأ عامدا ، والتقى بها فى الدرب الهادىء . انه الفتى صاحب القيثارة الذى درس التصوير . التقى بها وجها لوجه ، وابتسم لها . هذا كل ماجرى بينهما حدث هذا فى العهد الذى قتل فيه ديليغانى صاحب الياقة العريضة المرتفعة والسترة السوداء المحكمة الأزرار . هذا كل ماجرى بينهما . وبعد قليل ، بدات الفتاة تتأخر فى العودة الى البيت . وتمت اللقاءات المختلسة. ثم جاءت القبلة الأولى ، حافلة بالجزع والمعاناة . القبلة التى لاتنسى ابدا ، ويعجز الوصف عن الاحاطة بها . كم كانت ترتعد من قمة رأسها الى اخمص قدمها ! كم سهرت مؤرقة بعد ذلك تفكر فيها بلا شبع ، فى تلك القبلة الأولى !

الفترة الأولى ، كانت ايام الشغف والنشوة ، ثم بعد ذلك جاءت ايام الاخلاص والاعتزاز ، لم تعد هذه ايام العشق ، بل كانت ايام الحب . سعادة تفكر فيها وتملأك شجنا .

منذ التاسعة صباحا ، وقد أسكرني صحبة الملاك في أرقى ، والحوار الخفي مع الجمال ، جلست أنظر الى صورة الشابة ، كنت قد صنعت قصتها ، على النحو الذي حاولت أن ارويه آنفا .
جلست أنظر . كنت وحدي . ثم جاء صاحب البيت ، وقال لي :
ـ احسنت صنعا . في ساعة مثل هذه يمكنك ان تتأمل كل ماتريد في هدوء .
ثم جاءت سيدة مسنة . سيدة مسنة عادية لم أتنبه اليها . جلست على الأريكة الصغيرة وسط القاعة وفي النهاية ، بدأ الجمهور يقبل . انصرفت ولكن ليس الى غير رجعة . بعد الظهر ، كنت هناك من جديد . افكر في الوجه ، في الجسد ، في العديد من الاشياء . كنت افكر . صارت صورة الفتاة ، فجأة ، قدري . كان صاحب البيت غائبا . اراحني هذا . جاءت السيدة المسنة مرة اخرى . زدت من تأملي لها . كانت ترتدي قبعة سوداء قديمة وقفازا تناثرت عليه البقع ، وحذاء أسود بال . كانت من ذوي الثراء واخنى عليها الدهر . هكذا كانت تبدو. جلست على الأريكة الصغيرة بجوارها في مواجهة الصورة . كنا ننظر الى الوجه ذاته ، والجسد ذاته ، نحن الاثنان . يجب أن انبه الى انني طبيب ، وفي ذلك الحين حصلت على اجازة من المستشفى كي أكتب رسالتي لنيل الدكتوراه في موضوع نقص الفيتامينات عند العاملين بالبحر. ومن التزيد ان اقول ان البحر ماعاد يهمني في شيء . تركت جانبا نقص الفيتامينات وصرت العاشق المتيم بصورة الفتاة . في اليوم الثالث ، دققت النظر في المراة المسنة . كان وجهها مليئا بالتجاعيد، وتكسوه طبقة من الشعر الخفيف مثل القسطل . كانت رقبتها مدفونة في ياقة عالية ، وقد تجعدت مقلتاها ، وشفتاها يبستا . وتحت الرداء بامكانك ان تتخيل عظام هيكلها . وجود يكاد يكون عدما ، سيطر عليه الزمن واوقعه في عبودية رهيبة . تبادلنا تحية الصباح . وبداخل كل منا نمت نحو الآخر مودة .
ـ تروق لك صورة الفتاة هذه ؟
ـ اسكرتني ! يا للخسارة انها لا تباع !
ـ أجل ، يا للخسارة !
ـ ما كنت اتصور أن يستطيع مصور متوسط الكفاية أن يترك لنا مثل هذا الأثر .
ـ لم يكن متوسط الكفاية !! كان مصورا كبيرا ؟

نظرت الى بوجه خالٍ من التعبير . نهضت ومضت الى احــد الأرفف بالحائط وقفت عنده . كل شيء كان يسقط عليها . الثياب ذاتها ، القوام ذاته . وعلى اي حال ، صرنا صديقين مرة اخرى.
وحدث أن جاء صاحب البيت ايضا .
ـ انت هنا ، من جــديد ؟
ـ قادنى الطريق .
احسست بأننى قد صرت أحمق . وما الحماقة ؟ شيء مثل هذا الذى أفعله . انصرفت السيدة المسنة . وبعــد الظهيرة لم يكن صاحب البيت موجودا . لكن السيدة المسنة كانت هناك . ابتسمت لى :
ـ الا زلت تعتبره مصورا عاديا ؟
كان صوتها مشروخا مرتعدا ، وقد جللها الحداد .
ـ لا اعرف ما اذا كان متوسط الكفاية ، هذا المصور . ماعدت اعرف شيئا .
شرعت أدرس حالتى بعينى طبيب .
قلت فى هــدوء :
ـ أحببت هــذه المراة.
احسست ان المراة المسنة الى جوارى تنتفض ، مثلما يخفق جناح طائر . ثم قالت لى بحزم :
ـ لا تأت الى هنا بعــد الآن !
ـ اتعرفينهـــا ؟
ـ أجل ، كنت اعرفها . اما الآن فهى ميتة . ماتت منذ وقت طويل .
ـ وكان جمالها آسرا ، خياليا ، كما يبدو فى هذه اللوحة ؟
طفرت من عينيها الدموع .
ـ كانت صديقة ، صديقة لصيقة بى . نشأنا وكبرنا معا . أجل، كان جمالها آسرا . اما الآن ، فما عاد يوجد شيء .
كانت كلماتها الأخيرة هذه ، كما لو كانت تفد من أعماق بئر .
أصبحت متأكدا من ان الحب صورة من صور الحماقة . عدت اســأل :
ـ هل ماتت شــابة ؟
لم تجب . وفى النهــاية قالت :
ـ ماتت يوما بعد يوم ، رويدا رويدا . هكذا ، كما نموت جميعا.

غربت عيناها. وانسحبت الى صمت عميم. انصرفت من جوارها ، واحسست بداخلى ضوءا يومض . انتظرت صاحب البيت . انتحيت به جانبا . كان صوتى ممتلئا بالانفعال ، وسألته :

ــ من هذه المراة ؟

اشرت الى السيدة المسنة ، وعدت اسأل :

ــ من هذه المراة ؟ لماذا تأتى كل يوم الى هنا . وفى ذات المكان تقف ، والى ذات الوجه تنظر ؟

ابتسم صاحب البيت ، ولم يقل شيئا .

سألته مرة أخرى :

ــ أهى هذه ؟ لم تمت اذن ؟ اهى هذه ؟

أجاب صاحب البيت بهدوء :

ــ اجل . انها هى .

أحسست بالخليقة تنهار بداخلى .

وقال صاحب البيت متسائلا :

ــ وما الموت فى نظرك ؟ الموت هو هذا !

خجلت ان ابكى . لكننى أحسست بنهر من الدموع يشق احشائى .. دموع من أجل المراة ، من أجلى ، من اجل القدر الأسود ، من اجل الانسان الذى يموت يوما بعد يوم ، رويدا رويدا.

البحر

الكيفاديس يانوبولوس



البحر

كان منقوشا على البساط المجلوب من اوروبا ، في وسطه ، ثلاث نخلات باسقات . وكان ساق النخلة الوسطى ، مستقيما فارعا واطول من ساقى النخلتين الاخريين ، اللتين تشكلان قوسين ينحنيان بدقة تامة وتناسق محكم ، الاول ناحية اليمين والثانى ناحية اليسار . وينبثق من قمة كل نخلة سعف عريض مستو بديع التنسيق . كل ذلك مرسوم بالوان قوية ، خضراء ، وصفراء ، وبنفسجية . ويصور المنظر صحراء تكسوها رمال وردية . على ان طرافة هذا المنظر كانت تتمثل فى رجلين زنجيين . يقف أولهما وقفة جانبية الى جوار النخيل ، عارى الجسم حتى الوسط . يتفجر اللون الاحمر من شفتيه وفتحتى انفه ، وحدقتا عينيه شديدتا البياض ، أما الزنجى الثانى فيقف فى المواجهة بعمامة بيضاء وحزام مزركش . كان المشهد ينقصه حقا رقعة فسيحة من السماء ، أو حتى خطا يمثل الأفق . لكن السماء كانت تحجبها تلك الحلية عند الحافة . وما كان يمكن ان يعتبر افقا ذلك الخط الضيق المرتفع باهت الزرقة .

كان الصغيران ، الولد واخته ، يقولان آنذاك عن ذلك الخط انه البحر . وقد مضت اليوم سنوات وسنوات وما عاد للبساط الطريف وجود . وقد كانت تبلى اطرافه يوما بعد يوم ، وتتآكل ويعتريها القدم ، فكان اهل البيت يقصونها ويرفونها . ويبدلون مكانها فى البيت مرة بعد الاخرى . وفى النهاية غمر النسيان ذلك البساط حتى قبل أن تضيع بقاياه الأخيرة . ومن ثم ، ربما كانت أوصافه التفصيلية الآن غير مطابقة للواقع تماما .

كانت الغرفة التى وضع بها البساط أول الامر مخصصة للضيوف ، فكان محظورا دخولها على الولدين الصغيرين . واذا حدث أن تسللا اليها خلسة ، سارا فى حذر على اطراف أصابعهما . وعندما لم يكن فى البيت زوار كانت نوافذ الغرفة تغلق وتتدلى عليها ستائر ثقيلة جميلة . وفى ساعات الأصيل تتسرب الى الغرف من خلال ثنايا الضلف الخشبية اشعة من الشمس تضيف الى البساط

زخارف متحركة ، عند سقوطها على المشهد الغريب على الارض.
على حوائط تلك الغرفة علقت الصور الكبيرة ذات الأطرالذهبية :
صورة الأب بنظرته الصارمة المستغرقة في التفكير والتي لا تفارقه
حتى في لحظات صفوه ، وصـــــورة الأم بملامحها الوسيمة التي
لازالت تحتفظ بحلاوتها حتى اليوم ، وصور الأجداد واحدا واحدا.
ثم بعد ذلك ، كانت هناك صورة فتاة شابة تبتسم ابتسامةحزينة.

عن تلك الصبية - التي كانت جميلة حقا - لم يكن الصغيران
يعرفان سوى انها سافرت ذات يوم . « الى اين ؟ لمــاذا ؟ » وان
اسمها خريس . لم يكونا قد رأياها قط ، وما كان احد في البيت
يتحدث عنها في حضورهما . بل ان ثمة شيئا آخر كان يحـــدث
أيضا . ربما رجع الأمر الى زاوية الحائط حيث كانت توجد ، أو
ربما الى طبيعة عينيها . فقد كانت ثمة لحظات - وعلى الأخص ،
عندما كان يخفت الضوء في الغروب - تتعلق فيهــــا نظراتها
بالبســاط على الارض .

وقد كان أول من لاحظ ذلك هو الأخت الصغيرة - كانت آنذاك
في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها - وقد اخبرت بذلك
اخاها الذي يكبرها بقليل قائلة :

- ارايت ، باستيليو ، كيف تنظر خريس الى البحر ؟
- ولمــاذا تنظر الى البحر ؟
- ها هي ، تطل الى حيث يوجد البحر ، هناك .

ويلمع في عينيها المنبهرتين ، وهي تنطق بكلمة البحر، يلمع حقا
الخط الضيق ذو اللون الأزرق الباهت المرتسم على السجادة .
ثم يتسع وينبسط على مساحة خيالية ، مطفئا تماما حيز الغرفة
المغلقة ، ومنطلقا الى ضياء سماء شـــــفافة ، الى عالم مجهول
يغمره نور صاف .

عالم مجهول .. رؤيا عن سفن بيضـــاء ، تكاد تتمايل ، كما لو
كانت مهودا تهدهدها يد خفيـــة ، وقد رفرفت السكينة على تلك
المهود الوديعة . وغمر الأرجاء احساس بالاتســــاق والتــآلف
وبرصانة حلوة .

يقول ســـتيليو : السفن تمضي الى مدن تشبه فيهــا العمائر
قلاعا ، نوافذها فتحات مربعة لا حصر لهـا ولا عدد . ثم يردف
قائلا : « ولـكن اليس للشطئان هناك وجود ؟ تنتصب هنـــاك
اشجار النخيل ، مثل تلك التي على البسـاط ، ويرتفع سعفها حتى

تلمس أطرافه أديم السماء .. ثم هناك الشوارع .. خطوطها على الجانبين تجري ، تجرى كى تلتقى فى ركن بعيداً ، بعيداً ، هناك . يجب أن تغمضي عينيك حتى ترىَ كل ذلك » ثم يمضيَ ستيليو، فيقول مؤكدا : « النـــاس فى المدن ليس لديهم وقت لمثل هـــذه الأمور . ولاهم أيضا يحلمون » . وتســـأل الأخت الصـــغيرة قائلة : « حسنا .. لـكن أين تذهب الصبـــايا الجميـــلات مثل التصاوير ، الباسمات فى حزن ؟ »

ان خريس حتى فى الخيال مقصية . وهى ، هنا ، فى البيت ، غريبة . لهذا فهى خفيضة العينين تتشبث نظراتها بالبحر الأزرق الساكن ، المسجى على الأرض قبالتها ...

هذا ما كان يحدث عندما تكون النوافذ موصدة . لـكن الأمر كان يختلف عندما كان يجيء زوار . كانت تزورهم على غرة السيدة فلانة ، وهى صديقة حميمة للأم . تنتقى الضيفة مقعدا وتجلس. كانت المقاعد مثبتة فى أماكنها التى لا تتغير . الأشياء كلها يسودها ذلك النظام الهندسي المقدر أن يوجد فى « غرف الاستقبال » وفى جانب من الغرفة ، ليس فى الوسط تماما ، المنضدة الصـــغيرة . وهناك أيضا المقاعد الأخرى ، والـكراسى الثـــلاثة الواطئـــة بلا مساند ، والدولاب الزجاجي الذى يحتوى على الآنية المفضضة ، وهناك الخزانتان المـكشوفتـــان ، كل منهما فى ركن بالغرفة . فى الأولى التحف المنمنة والعلب الصغيرة وطرائف أخرى منوعة . أما فى الخزانة الأخرى فتعرض المحارة الوردية الـكبيرة « أتســـمعين البحر ، يانينا ؟ » ـ كان نينا اسم الأخت الصغيرة ـ واناء الزهر الأخضر القيم ، وبه الزهور الصناعية ، وكأنها زهور حقيقية ..

تقول السيدة فلانة مؤكدة :

ـ لن أبقى طويلا ، ياعزيزتى ايرينى ...

فتجيب الأم محتجة :

ـ لم أرك منذ أمد طويل ، يا امرأة ! وانى لا أخرج الا نادرا .

ـ ولـــما ذلك ، بالله عليك ؟ ليس هذا تصرفا طيبا من جانبك .

فتقول الأم :

ـ ســـــأخبرك .. ســـــأخبرك ..

ثم تنادى الخادمة ، وتقول لها :

ـ النـــــــــافذة ، يا ماريكا .

ولم يتسن قط لماريكا أن تفتح النافذة فى الوقت المناسب . فقد

كانت مشغولة البال للغاية . وتصيح فيها سيدتها :
ـ ماريكا ! لا تنسي أن ترتدي ميدعتك البيضاء !
فتهرول الخادمة ، وتجوس بين قطع الأثاث مسرعة . وما أن تلمس أناملها الستائر الثقيلة المسدلة ، تقول الضيفة :
ـ لا داعي لذلك ، يا ايريني . ان الرؤية ميسورة بهذا الضوء أيضا ...
ولا يلبث أن يغمر الضوء الأشياء كلها دفعة واحدة . الستائر ناصعة البياض كالثلج ، منشاة ومدلاة على النوافذ ، نظيفة وغير مجعدة ، خطوط كوائها مستقيمة ، وتسرى فى النسيج اهتزازة خفيفة .
يكاد يكون الحديث المتبادل بين المرأتين مرحا أول الأمر ، ويدور حول موضوعات سارة . ولكن رويدا رويدا وكلما ازداد تدفقا واكتسى اهمية ، انخفضت نبرات الصوت . وكان من الجلى عندئذ ان كل كلمة أصبح لها معنى تنفرد به .
يدخل « الولدان » الى « غرفة الاستقبال » .
ـ تعالى هنا ، يانينا ، ياعصفورتى العزيزة ! كم كبرت ! .. يا لهاتين العينين الجميلتين ! ..
كان الولدان يردان التحية بأدب .
ـ اعتن بدروسك ، ياستيليو ! .. ان اباكما وامكما يشقيان من اجلكما ...
ـ انى أعتنى بها ، ياسيدتى !
ثم يعود الحديث فى حذر وارتياب ، وبكلمات متقطعة الى الموضوع الذى انفرط عقده .
ـ ولماذا ... ألم تكتبى بعد ذلك يا ايرينى ؟
تعاود الأم كلامها بحزن قائلة :
ـ كلا ...
كانت بالطبع قصة مجهولة ، ولكن الولدين على اى كانا يشعران بأن ثمة ما يثقل قلوب أهل البيت . قلق ما ، توجس ما ، شيء يكبل الأفكار بالأغلال ..
ومن وقت لآخر كانت السيدة تقاطع الأم قائلة :
ـ سبق أن قلت لك ذلك يا ايرينى ، ياحبيبتى .
وترد الأم قائلة :
ـ أجل ، ولكن ...
ثم تنتهر الولدين بغضب مكبوت :

ـ نينا ، ستيليو ! لاتقفا هنا ، اذهبا الى غرفة الطعام !

للأسرار حرمتها . على انه قد تصادف ذات يوم أن رأى الولدان مشهداً غير مألوف . وقفت الضيفة أمام صورة خريس ، وكما لو كانت توجه الخطاب اليها أومأت براسها ، كانت هذه الايماءة جد فريدة وغير متوقعة ، حتى ان الولدين ظنا ان خريس قد عادت ، وان ذلك الوجه وجه فتاة حقيقية ، تقف هناك بالقرب منهم ، بنظراتها القلقلة التى تبدو كأنها خائفة .

وقد جعل دبيب الحياة هذا فى الصورة ، وجود الفتاة بعد ذلك اكثر تجسما فى الغرفة الساكنة المغلقة .

ماعادت خريس ، كما كانت من قبل ، شخصية من شخصيات الحواديت . صارت مرتبطة بالموجودات الأخرى المحيطة بها ، واصبحت من الأسرة مثل الأجداد ، الذين وان لم يكن أى من الولدين قد عرفهم أيضا ، الا ان انتماءهم الى الحفيدين وشدة الشبه بالآب ، وشعورهما بالقربى جعلهما ينظران اليهم على انهم « موجودون » وليس الأمر بحاجة فى شأنهم الى أى « تفكير » .

واذا بعاطفة جديدة تتولد كلما عادت خريس تطل من حكايات فى البيت المتنوعة. وذات مساء ، وجد ستيليو فى الغرفة أخته نينا جالسة على البساط الذى رسمت عليه اشجار النخيل ، فسألها :

ـ انت هنا ، ماذا تفعلين ؟

ـ لا شيء .

ـ تنامين ؟

ـ كلا ، انى أنظر .

ـ فى الظلمة ؟ الى ما تنظرين ؟

ـ لا شيء .

ثم بعد برهة تردد قصيرة تقول :

ـ هل صحيح اننى اشبهها ؟

ـ تشبهين من ؟

ـ اشبه خريس .

ـ انت ؟ ! .. من قال ذلك ؟

ـ ماريكا .

ـ ماريكا بلهاء .

ثم بعد برهة باصرار :

ـ كما أن خريس جميلة .. وليس ذلك فحسب . ان خريس

ما كانت تقبع فى الظلمة مثل شبح تحلم بتوافه ...
بقيت تلك الصورة وقتا قليلا فى مكانها . وعندما انتقلت الأسرة الى بيت آخر ، لم تعد الصورة تتبوأ مكانها فى غرفة الطعام « ولم يعد هناك غرفة استقبال » ولم يصبح المكان يتسع لأى صورة من الصور السابقة . فقد كانت الشقة الجديدة أصغر ، واكثر تواضعا ، وفى حى اقل صخبا . وهكذا ، مع أشياء أخرى قديمة اختفت خريس فى مكان ما هنالك .
وبعد ذلك بكثير ، جاء دور البساط . فى أول الأمر شطر الى شطرين ثم قسم الى ثلاثة اجزاء واصبح الآن يؤدى خدمات يومية اكثر تواضعا . بل انه رويدا رويدا نسى ما كان عليه من حال فى سالف عهده .
وفضلا عن ذلك ، فانه مع مر السنين ، وكلما غيرت الأشياء من مواضعها واستعمالاتها ، كلما صارت اكثر بساطة وصراحة ووضوحا . لم تعد تكتسى بأى مسحة من الغرابة . كان وجودها مرهونا فحسب باستخداماتها المألوفة . وصار هذا هو أمر البشر ايضا .
واذا بخريس تصبح شخصا من الأقارب اللصيقين . كانت توجد فى الطرف الآخر من الدنيا ، سنوات وسنوات مضت عليها هناك الآن ... كما كان ثمة مسألة تتعلق بميراث يخصها ، تفاصيله مكدرة ومثيرة للأشجان ...
ومع ذلك ، فعلى الرغم من كل ما هو عادى ومألوف الى حد الرثاثة ، كانت تعود الى الذاكرة لحظات ، لحظات مثل غزال رشيق يخطو بخطوات اثيرية ، خيالات بعيدة من ايام الطفولة : أسفار فى بحار لا وجود لها ، تشبه ذلك البحر الأزرق الباهت ، ذلك البحر الفسيح الساجى ، على البساط الذى طواه النسيان . ومع تلك اللحظات يخيم سكون ضبابى ، واحساس بحلم مريح تنتشى به الذاكرة .
فى البحور الأخرى ، البحور الحقيقية ، السفن كتل تنساب فى بطء بأشكالها المعروفة ناشرة قلاعا وصوارى ، وأبراج مراقبة ، ومداخن وكوات مستديرة .
تقطر المراسى ماء أجاجا . وليست السماء على الدوام صفحة ملساء صافية الزرقة . بل هى فى بعض الأحيان جهمة غائمة ووضاءة فى بعض الأحيان الأخرى ، وتتزين بين الفينة والفينة

باسمال ارجوانية وبنفسجية . ولكنها منذ الأزل تجاهد كي تجمع قدر امكانها غشاوة معتمة حول الأفق ، تقف مثل سد يحتجز كل شيء هناك . فلا يمكن اجتيازها ولا بالخيال ...

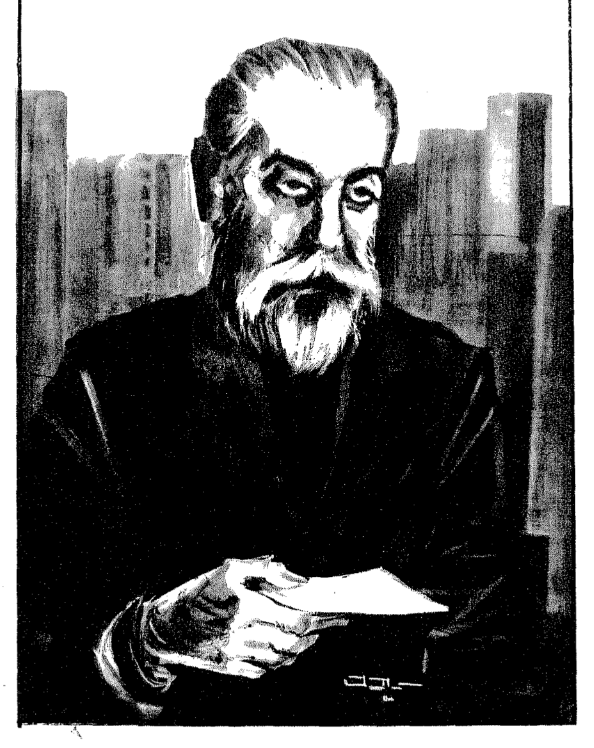
وتصل المراكب ــ التي تبدو ناصعة البياض ، من بعيد ــ الى الموانيء مثل طيور منزوعة الريش. وتبين بلا حياء عن عددها المرتبكة وحبالها واحمالها. كلها أشياء نافعة مألوفة وحافلة بما يثير الاهتمام.

أما بحر البساط ، ذلك الخط الضيق المسحور ، فقد كان وحده يطوى بين جنباته سعادة الدنيا بأسرها ، بطلاوتها ونقائها المبرأ من كل شائبة . كانت خريس تطل عليه بنظرات ملؤها الاصرار وكانت تحلم. خريس فى الأيام الخوالى ، تلك الفتاة الجميلة مثل التصاوير.

أين تذهب حقا ، ساعات الأصيل الماضيات ؟ آنذاك ، لم يكن ثمة وجود للأحزان والمنغصات مثل خلافات الميراث. كانت نينا تنسج رؤى عن شواطيء تنمو فيها اشجار نخيل . وكان الولدان يرحلان مع خريس ، فى رحلات على أطراف الأقدام « حتى لايحس بهم أحد » فوق ذلك البحر ذاته ، الذى أودع « اسمعى ؟ » هديره الذى لاينتهى فى المحارة الكبيرة الوردية .

تسوية وديّة

ديمتري سياتوبولوس



تسوية ودية

القديس ديمترى بقعة من الارض منزوية فى الشرق من يابسة اليونان بالقرب من بحر كثير الصخور ، ينبسط مثل سجادة زرقاء نسجت حديثا ، ويمتد نحو الجنوب . يزينه هنا وهناك غزل من زهور بيضاء على مرمى البصر .

من حوله بضعة تلال تكومت قاحلة كئيبة ، تشبه احجارها الجيرية الناتئة وجنات ضامرة لعمالقة أسطوريين دب الهزال فى أبدانهم .

وبعيدا عن الأفق العريض تلوح جبال ايفياس الوردية ساهمة كما لو كانت ظلال احلام ..

اما نعمة الله فى تلك البلد فقد انحصرت فى سهل صغير مستدير ذى زرع وفير ينبسط على ارض خفيفة عتيقة تحدها هضبة من حجارة جرداء تمتد فى الجنوب وفى الغرب .. فى هذه الضيعة توجد الكنيسة أيضا ، كنيسة القديس ديمترى محاطة باشجار دفل كثيرة ، وزيتون دسم ، وصنوبريات مورقة ، وتين عسلى وآخر شوكى ، وأشجار بلوط ، اجيالا طوالا تبكى فى الشتاء هجران الناس لها ، وفى الصيف تشدو للنفر القليل الذى يجىء من صائدىالطير والسمك وافدا من القرى المجاورة . ياتون واسرهم ، شهرا أو شهرين فى الصيف . يحطون الرحال ، ويقيمون فى أكواخ صنعت على عجل من بوص اخضر وحبال ...

فى ذلك الوقت ، يصبح القديس ديمترى خلية تعج بأولاد صغار فرحين ، يلعبون ويضحكون طوال النهار خليى البال ، وكم تبعث رؤيتهم البهجة فى القلوب حقا .

هذا المكان بكنيسته الصغيرة والزروع المحيطة به ملك قديم من املاك الأديرة . ولكن منذ العديد من السنين حتى اليوم لم يعرف المكان سوى عامل مقيم واحد ، هو العم ميتروكولاروس .

كان لازال صبيا ، هذا العجوز العم ميترو ، عندما الحقه رئيس الدير اليسيوس بالعمل حارسا لهذه البقعة من الأرض ، وبمقتضى ذلك صار من واجبه ومن حقه ايضا أن يرعى الزرع الذى كان آنذاك لازال غضا ، ويتعهد الكروم التى كانت قليلة . وبدلا من ان

يتقاضى لقاءذلك اجرا كان له ان يجنى الثمار لنفسه . اشياء زهيدة ، لكنها جديرة باحترام فتى وحيد معرض عنه ، يتوجس الخيفة من الناس ومن أحوال الدنيا . لم تزهر على شفتيه اغنية فى ساعات شبابه الموحش سوى بضع ترانيم تدور حول محورحزين لايتغير .

ثم مات اليسيوس رئيس الدير ، وتعاقب من بعده رؤساء آخرون عديدون ، دون أن يذكر أحدهم القديس ديمترى وحارسه المنسى من الناس من القدر . فاحب الفتى فى عزلته تلك البقعة من الأرض، وارتبط بها حتى اليوم .

« بيدى عجنت هذه الأرض ... »

هـذا ما كان يقوله لمن كانوا يمرون بتلك الناحية ، ويبدون اعجابهم بجهوده . ثم يردف قائلا :

ـ ليس لى أحد فى الدنيا ... هذه الأرض كانت بالنسبة لى اما واخا وكل شيء .. وفى الليل ، عندما تتوق نفسى الى الانسان ارتمى على الأرض ، واتشبث بها . الصق اذنى باديمها ، واسمع وجيب الناس من بعيد .

وتتابعت الفصول والأزمان بلا حدود تفصل بين أيام الشتاء وأيام الصيف ، بين الخريف والربيع .

ومن ساعات الضعف الانسانى والصالحات تراكم على كاهل العم ميتسو خمسون من السنين الثقال ، صار فى هذه الناحية شبحا حقا . صار رجلا جبليا مديد القامة ، يصفر فى وجه الريح لا انشودة بل ترنيمة حزينة . صار جذرا عتيقا من جذور اشجار البلوط التى تضرب موغلة فى التربة ، تتشبث بها متلوية مثل ثعابين حجرية ، تظل هناك الى الأبد ..

ولكن عندما تعيش خمسين عاما كاملة فى بلد بعينه دون أن تغيب عنه حتى ساعة واحدة . عندما تتحرك فى حيز مكانى بذاته ، فانك تشعر بكل شيء من حولك . تعرفه حق المعرفة وتحبه ، ولو كان هذا المكان سجنا ، فان القضبان والأبواب الحديدية الثقيلة تصبح اخوة لك ...

أمر من هذا القبيل حدث ايضا للعجوز ميترو الأسود . كان يقول مشيرا الى صف من أشجار الزيتون المتماسكة وقد ازهرت اغصانها :

ـ اجل ، اترى اشجار الزيتون ، تلك ؟ انا الذى جعلت منها

عرائس تزهو بزينتها ... كانت شجيرات برية نبتت هنا وهنـــاك مبعثرة مثل صغار الأرانب الجبلية ... أنا الذى لمست شـــطها وزرعتها الواحدة الى جوار الأخرى . وعندما ثبتت جذورها وحانت ساعتها المباركة ، أنا الذى زوجتها ... انا الذى طعمتها وتعهدتها بالرعاية ... انها ــ لعلمك ــ حية بدورها ... يبحث كل منها عن زوجه ، عندما يحين أوانها ...

وحتى فى عمره هذا ، كنت تراه من وقت لآخر وقد انحنى على جذور أشجاره ينبش التربة ويستأصل الحشائش الضـــارة ثم يمسك بمكنسة من القش العطر يطوف بها المكان حتى البئر الرطيب الذى يفتح فمه متثائبا تحت اشـــجار البلوط التليدة ، وينظف الأرض بحركات مباركة كما لو كان الها كبيرا أحب مخلوقاته أكثر من نفسه ...

وكثيرا ما كلف من التقى بهم أن يحضروا له من القرية المجاورة جيرا ، وعندئذ كانت تكتسى سفوح الهضبة الجرداء برداء ناصـــع البياض . كان يصلح ، هنا وهناك حجارة الأركان المهدمة ، ويضفى النشوة حتى على الأطر الحجرية المحيطة بسيقان أشجاره ــ النشوة التى يبعثها معاينة الجهد والاهتمام بالعمل ، ومهما كنت مثقـــلا بالهموم تدب فيك الفرحة، وتشعر بصدرك يخفق وأنت ترى كل هذا .

ــ ولتعلم ان هذه هى حياتى أنا ... كل حجر ، كل غصن ، كل جذر هنا هو بالنسبة لى حكاية بأكملها .

كان يهز رأسه بألم ويردف قائلا :

ــ حكاية القلب . ما الذى بالامكان ان تحب غير الطبيعة ؟ هل هناك ما هو أجمل ؟

ثم يقول ضـــاحكا :

ــ هى بدورها أنثى، هذه الطبيعة.. أنثى هى وان لم تكن امرأة .

أشباح وعفاريت لا توجد على هذه الأرض . فلو كان لها وجود لعرف العجوز ميترو امرها ولرآها منذ العديد من السنين . آلاف الليالى الشتوية السوداء فكر فى هذا الأمر أيضا ، عندما تشتد رياح الشمال وتدور حول عشته ، وتختطف روحه وتذهب بهـــا بعيدا الى عوالم جد مختلفة ، الى منحدرات مظلمة وهاوية لطمتها الأمطار والعواصف . ان العالم هلامى غير محدود المقـــدار .. انه جد رحيب ، لعلمك ، بقدر عقل الانسان ... ولـــكن المسكين ميترو كان يشعر بعض الأحيان انه يموت فى غير أوانه ! .. فى

بعض امسيات مؤسية من مايو ومن اكتوبر يموت تحت اشـــجار البلوط ، تلك المخيفة ، ولازال في شرخ شبابه ، بكوا ، بلا تطلعات بلا مغامرة مثيرة تداعب خياله الفطري ، ثم بعد ذلك ها هو يقترب من الموت فعلا عجوزا بلا أمجاد أو ذكرى .

وعندما كان يداعبه الصيادون الذين كانوا يحطون رحالهم هناك. كان يقول لهم :

ـ هذا ما يحدث لنا أيضا نحن البشر احيانا . هكذا يحدث : في دفء راحة اليد تذوب حياتنا مثل كرة الثلج البيضاء ، دون أن نكف عن الأمل .. دون ان نكف عن أن نترنم بأغنية الحياة ...

ذات يوم من أيام الربيع ، في الوقت الذي كانت قد ازهـــرت زهور الدفلى ، ظهر في القديس ديمتري رجل غريب يركب دراجة.

كانت الأشجار قد عادت الى شدوها القديم ، وكل شيء من حولها قد دهن بالجير حديثا وبدا لامعا طليا ، تماما مثل الروح الخفاقة في أعماق العم ميترو ، التي تزينت بحلل الأعياد بدورها ومضت تصلي مبتهجة برحيل الأشباح ...

اسند الرجل دراجته الى ركن العشة ، وتمطى كي يطرد التصلب من مفاصله . فقد كدح وقتا طويلا بعجلته عبر الطريق الوعر !

جرى العجوز ميترو يرحب به . رمقه الآخر بنظرات حـادة .

ـ ديمتريو كولاروس ، انت ؟

ـ اجل ، يابني ...

ـ احم ... هل أستطيع أن اشرب كوبا من الماء ، أيها العجوز؟

ـ بكل سرور ، ولتتناول شيئا أيضا ...

كان أول انســـان يراه العم ميترو طوال اسبوعين ، فأراد ان يرحب به ويتجاذب معه أطراف الحديث ، عن ألف امر وامر... عن دنيا البشر الذين حرم منهم طوال هذه السنين ، وعن ازدهار الزيتون ونمو الـكرمة ، وعن المحصول الوفير هذا العام ، وعن كل تلك الأشياء التي قالها فحسب لنسمات الربيع أياما وأيام .

لكن ذلك الرجل كان جد عبوس حتى يستمع الى اغنية قلب... تجرع الـكأس الصغيرة التي قدمها له العجوز ، وشرب كوب الماء دفعة واحدة . ثم أخرج من جيبه بعض الأوراق أخذ يقلبها بعناية.

مضى ميترو المسكين ينظر اليه دهشا .

وفجاة ، انتزع الرجل من كومة اوراقه ورقة كبيرة ، وصـــوب الى العجوز نظرة .

ـ ديمتريو كولاروس ، هيه؟ حارس ضياع ديرالقديس بوائيل.
ـ اجل ، يابنى ، انا ...
ـ لك معى ، انذار ايها العجوز ...
جذب من الاوراق ورقة كتبت بحروف صغيرة ، وامتلأت بطوابع واختام ، وناولها للعم ميترو . ثم بسط امامه على حافة النافذة ورقة مماثلة مكتوبة على الآلة الكاتبة بدورها ، واعطاه قلمه قائلا:
ـ خذ ، وقع هنا بالاستلام ...
فتش العجوز فى جيوبه عن النظارة .
ـ ما هـــــذه الورقة ؟
طوى الآخر سائر أوراقه ودسها فى جيبه .
ـ انهاء خدمة . « تسوية ودية لعقد العمل » ...
وقف العجوز ميترو ، ومضى ينظر اليه كما لو كان لايفهم لغته.
ـ كيف قلت ذلك ، يابنى ؟
ـ كما سمعته ياجدى .. ان الدير « وقد أصبح فى غير حاجة الى خدماتك » ـ على حد قوله ـ يستغنى عنك ... من باكر عليك أن تجمع حاجياتك وترحل ... غدا صباحا ، سيرسلون غيرك ليحل محلك ...
ترك أوراقه على حافة النافذة برهة ، ومضى يبحث فى جيوبه ، قائلا :
ـ ولك معى بعض النقـــود ستتسلمها .. تعويض .. أجـــرة ســـتة أشـــهر ...
أخرج من جيب سترته الداخلى لفافة من الأوراق المالية ووضعها فى يد العجوز .
ـ عدها .
مضى العجوز يحملق فيه تائها . هم أن يلفظ بكلمة . ولـكنها ما أن انزلقت خارجة من شفتيه حتى سقطت ارضـــا . ارتطمت بالحجارة وتهشمت آلاف القطع .
التفت اليه الرجل بشىء من العصبيـــة :
ـ ماذا حدث ، ياجدى ؟ لمـــاذا لا تضع توقيعك ؟
ـ وانت .. انت ، يابنى .. من انت ؟
قال له الآخر بصرامة :
ـ انا المحضر القضائى .. عد نقودك ووقع ، لأن وقتى لايتسع. يجب ان انصرف ...

أخذ العم ميترو يرتعش .
ــ ماذا .. ماذا يعنى كل هــذا ؟
ــ انهم يطردونك ... تتظاهر بأنك لا تفهم ، أيها العجوز ...
ــ من القديس ديمترى ؟
ــ أجل ... انه القانون .. طالما انهم يدفعون لك تعويضا ، فهم يملكون ذلك ... عد نقــودك .. اجرة ســتة أشــهر ... لمــاذا تنظر الى هكذا ؟
ــ انا .. يطردوننى أنا من هنا ؟ من القديس ديمترى ؟
ــ اجل .. الم أقل لك ذلك ؟ .. تسوية ودية ....
تحجرت العبارة فى عقل العجوز الفقير .
« تسوية ودية ... »
جالت عيناه بنظرة مرتعبة فيما حوله ، فى كل تلك الأشياء التى انفها ، وكل تلك الأشياء التى أحبها اشد الحب طوال الســنين العديدة . وفجأة ، خيل اليه ان الشجر والنبات وسفح الهضبة الجرداء والتلال المجاورة ــ خيل اليه انها كلها قد اكتسبت دفعة واحدة الهيئة الانسانية ، ومضت تنظر اليه بتساؤل كبير ، تنظر اليه كلها محدقة فى عينيه ...
ــ وأين .. اين اذهب ، يابنى ؟ ..
اتى المحضر حركة تنم عن الضجر .
ــ وهل اعرف انا أين تذهب ؟ .. انى أؤدى عملى فحسب...
اشار الى الورقة على حافة النافذة . وقال له :
ــ وقع .. فقد أدركنى الليل هنا ...
انحنى كما لو كان منوما ، ووضع توقيعا مشوشا فى المكان الذى اوضحه له الرجل المجهول . أخذ هذا الأخير الورقة ، وطواها مع غيرها من الأوراق .
ــ طاب مساؤك ، ايها العجوز ... ومن الغد ، هيه ، كما قلنا.. سوف يأتى الآخر ..
استدار نحو الدراجة . دفعها صاعدا الى الطريق المهد . قفز عليها ، ومضى بها مسرعا . ثم غاب خلف الهضبــة الحجرية . البيضــاء ...
القى العجوز نظرة على الورقة ذات الأختام ، ونظرة أخرى على النقود ، ثم سمر عينيه المبللتين على النقطة التى غاب عندها الرجل

المجهول ، كما لو يكن قد احس شيئا من هذه الحكاية كلها ...
كان الوقت غروبا ، ومن جديد صبغت الشمس بصبغتها الضبابية جبال ايفياس البعيدة .. ومضت تغيب اثيرية كعادتها ، وردية اللون ساهمة .


جزيرة يونانيّة
غالاتيا ساراندي

جزيرة يونانية

كانت الشمس على وشك أن تغيب .. السماء ذهبية ، والجو كله من ذهب ، الحقول وبساتين الكرم والأسوار ، بل وفيليباس أيضا . كان فيليباس يجلس على غصن شجرة من اشجار الزيتون، مدليا قدميه الغليظتين الحافيتين ، ومحركا اياهما فى حركات رتيبة . متخيلا ان بقع الشمس الصغيرة النافذة من خلال الافنان المورقة انما ترقص على جلده الخشن الضامر ، فيقول : « جنيه آخر ... وآخر ..... »

وبين الفينة والفينة كان يرفع راسه الى اعلى ويختلس النظر من ثنايا اوراق شجرة الزيتون . لكن السماء كانت ذهبا لا يتغير ، فانتاب الارتباك فيليباس . رفع يده مذعورا الى عينيه وحجبهما مطلقا انات خافتة . ثم عاد فاطرق راسه وتابع من جديد قدميه ، محصيا بقع الشمس ، مرددا بانتظام : « جنيه آخر وآخر... »

بعد قليل وقف مستغرقا فى التفكير ، وقال بصوت خفيض مشوب بالخجل ، كما لو كان يفضى الى احد بسر : « ساحيك كيسا صغيرا احمر ، واضع من حوله شريطا ذهبيا ، واجمع الجنيهات كلها .... »

قال من كان يقف وراءه ضاحكا :

ـ وماذا ستعمل بها ، يا فيليباس ؟ ..

اجفل فيليباس . عض شفتيه . وضع يديه على فمه ، كما لو كان بذلك يكتم سره على نحو افضل ، ثم انفجر فى الضحك ، مطلقا قهقهة صاخبة . لكنه لم يعن على اى حال بالالتفات ليرى من اين ياتى الصوت . اخذ من جديد يحرك ساقيه بانتظام ، وسال بلا اكتراث : « انت هنا ؟ » .

لم يتلق فيليباس اجابة ، ولكنه التزم الجد .

خيم الصمت لحظات ، لحظات قصار للغاية ... بالقدر الذى تحتاج اليه السماء لتغير لونها . واصطبغ اديمها بلون احمر، احمر دافىء وعميق .

عاد يسال ، ولكن بلهجة جادة للغاية .

ـ ماذا تفعل ؟

ضحك الآخر . كان شابا . وضع صندوقه خلف شجرة الزيتون التي جلس عليهافيليباس ومضى يرسم .

اجابه ضاحكا :

ـ تعال لترى .

ـ كلا ، خبرني انت !

ـ حسنا ، ايها العنيد ، ساخبرك !

اغمض عينيه ونظر بانتباه الي لوحته التي لم تكتمل بعد . اشجار زيتون ، شجرة سرو ، حائط مهدم ، ثم اشجار زيتون اخرى ، في وسطها قبة الكنيسة ، بيضاء ناصعة البياض مثل سحابة صيف في الظهيرة . قطب جبينه وقد استبد به الانشغال . كل شيء صحيح ، الأشجار زاهية ، وحجارة الحائط تنبيء عن ثقلها . لكن كان ثمة شيء ناقص .. شيء ما .. عض شفتيه حتى كادتا تدميان . وقد من اعماقه البعيدة صوت نسائي شبه منطفيء يقول : « لماذا تعذب نفسك ؟ لماذا تجهدها ؟ » ثم علا صوته عنيدا غاضبا : « لاتستطيعين ان تفهمي ... ليس باستطاعتك ذلك . كل ما افعل يعوزه الضوء دائما ... الضوء ... »

وقالت الفتاة شاكية : « تطلب كل ما هو مستحيل .. تطلب كل ما هو وهم وخيال ... » .

اغلق صندوقه حزينا . ظهره يؤلمه ورأسه ثقيل ، ولكن اصراره على الدوام متقد . سأل نفسه : « اهو عناد هذا ؟ » وفي اعماقه كانت الثقة موجودة . وعلى الرغم من كل المثبطات يرفض الاستسلام كلا .. كلا ... وعاد يسأل نفسه : اهو وهم ان اجرى وراء الضياء ؟ ومن جديد تتصدى ثقته ، وطيدة مثل قلقة ، بالاجابة : « كلا .. كلا ! »

قال فيليباس : « لماذا لا تخبرني بما تفعل ؟ »

نظر المصور شارد اللب الى شجرة الزيتون التي صورها . على مبعدة قليلة رأى شجرة شوك كبيرة مزدهية نبتت متقنة الخطوط ، وبدت مختالة تقف ممشوقة القوام وقد انبسطت اوراقها الذهبية ، وعندما التقت نظرة المصور بها احس بقلبه يتخفف مما كان يعتصره منذ بعض الوقت . تناول كراسته وقلمه وشرع يرسمها بحركات سريعة متحررة .

قال :

ـ اعلم يافيليباس انني ارسم الآن شجرة شوك . وحذار عندما تنزل أن تكرمش أوراقي !

ـ آخ ، ياله من شيء مضحك ! اسمعوا ، شجرة شـــوك . زلزل الضحك كيانه كله . تطاوحت ذراعاه وساقاه فوق شجرة الزيتون.

ها ... ها ... ها ... تكور مثل كرة وتدحرج نازلا . أخـذ ياتي بقفزات عنيفة مرحة .

ـ اسمعوا ، اسمعوا ، انه يرسم شجرة شوك !

في ذلك الوقت ، كانت تمر في الطريق السيدة مارينا . راته يقفز ويصيح فسالته :

ـ ماذا حدث لك ياولد يافيليباس ؟ اطبق عليك الجنون ، أيها المسكين ...

كانت تسأله ، ولـكنها كانت كما لو كانت تتشاجر معه أيضا. السيدة مارينـــا امراة صـــغيرة القد في منتصف العمر . وجهها لوحته الشمس ، وشعرها فضي اللون . ولابد انك سوف تقول عنها انها عجوز لولا ان عينيها راقصتا النظرات ، عامرتان بالضـــياء ، عميقتا السواد .

اقبل عليها فيليباس بوجهه الساذج ، ومضى يشرح لها الأمر :

ـ اسمعي ، اسمعي ، انه يرسم شـــجرة شـــوك !

ضحكت السيدة مارينا وقالت : الزم الهدوء حتى يرسم صورتك انت ، ايها الأحمق ! ما دمت لا تلتزم الهدوء فحسنا يصـــنع اذ يرسم شجيرات شوك .

ومضت في طريقها خفيفة الخطـــا .

ظل فيليباس جامدا في مكانه برهة ، وقد استغرق في التفكير . نكس راســـه كما لو كان قد اثقله التفكير . باحـــدى يديه راح يحك رقبتـــــه وبالأخرى اتى بعض الحركات كما لو كان يريد أن يضرب شيئا لايراه يلفه ويعذبه . ثم فجاة انتفض واندفع يجري في أعقاب السيدة مارينا ، مناديا :

ـ ايه .. ايه ..

توقفت ونظرت اليه دهشة . ماذا من جديد ؟

عندما لحق بها ، كان الانشغال قد زال من قسماته . وقال لها كما لو كان يفضي لها بسر وهو يشير نحو المصور : انه شيطان !

ابتسمت السيدة مارينا . ومضت في طريقها . على انه مضى يهمس في اعقابها كما لو كان يميط اللثام عن أمر كان خافيا .

« انه ينظر اليك ، ثم ينظر الى الورقة يحرك يده فتخرج صورتك بحذافيرها ! انه عمل شيطاني ، أليس كذلك ؟ انى خائف .

ـ ولم تخاف ؟

عادت راس فيليباس تثقل من جديد . حقا ، لم يخاف ؟ انتابته الرغبة في الضحك والقفز ، ولكنه تمالك نفسه .

سألها بلهجة مرحة :

ـ اين تذهبين ؟

أجابته ببساطة وهدوء ، كما لو لم يكن الذي الى جوارها عبيط البريرة ، الذى يضحك منه الجميع . لم يخطر حتى ببالها أن تقول له وماذا يعنيك أنت ، أو أن تغضبه أو تنهره وتطرده ، وذلك لأن السيدة مارينا كانت قد فقدت أمها وتيتمت وهي صغيرة ، واذ رات اباها وقد هدته وطأة الحزن لشدة المصاب الذى الـم به . استيقظ قلبها مبكرا . تهشم وأدمى . ولهذا حملت يتم البيت كله على كاهلها . وتولت تربية اخوتها السبعة .

في الحادية عشرة من عمرها كانت أما صغيرة تعرف كيف تتكلم عن الخير وعن الشر ، وكيف تنهر وتلاطف ، وكيف تواسي وتدخر من مصروف البيت ولا تنطـق بكلام غير لائق . كل شيء كانت تعرفه ! وكما لو يكن ذلك كافيا لتسدد دينها على الأرض ، تزوجت وانجبت بدورها ثمانية أولاد ، شـقيت في تربيتهم . مات ثلاثة منهم وبقى لها خمسة ، ومنذ سنتين واصغر أولادها فانجيلاكى يعانى من الدمل الخبيث على وجنته . ولهذا فقد امتلأ وجههـا بالتجاعيد من فرط الهموم ، وابيض شعرها ، لـكن قلبها ايضا قد انشرخ من وقت جد مبكر ، ولذلك فما كان بالامكان أن تقسو على أحد .

مضت تتأمل في ألم جسد فيليباس الممسوخ . انسان جلفريب هو . وحيد في هذا العالم ، يقترب من الشيخوخة ومع ذلك لازال عقله عقل طفل لايكترث به أحد ، بل ويعذبه النـاس والشياطين والضوء الباهر وظلمة الليل . بها رغبة ملحة في البكاء من أجـله الا ان دموعها نضب معينها منذ أمد .. كل ما في امكانها نظـرة اشفاق ومواساة فحسب .

ـ انى ذاهبـة ، الى فيرويا ، يافيليباس . ذاهبة الى الأب ستاماتى .. سأقيم صلاة بعد غد من اجل ابنى . نذرت نذرا .

قال فيليباس بعزم :

ـ ساحضر معك . ساحضر لأسأل الأب ستاماتى عما اذا كان هذا الرجل شيطانا !

خمسة واربعون عاما امضاها الأب ستاماتى ناسكا فى ناحيـة فيرويا . تلاحقت السنين الخمسة والاربعون كما لو كانت حبـات مسبحة بطيئة متتابعة . عندما جاء أول مرة كان شابا يتدفق حيوية وطنـين العالم يفد الى اسـماعه جائرا معذبا . اما الآن فقـد اضحى عجوزا ، وارجاء المكان تخربت ، ظل الناسك وحيـدا ، وكان هو فى فيرويا آخر من بقى .

هاهو يجلس على عتبة صومعته . ونظراته تائهة بين قمم أشجار السرو الباسقة ، تتمتم شفتاه بآيات من الكتب المقدسة مثلما كان يتغنى من قبل بأشعار الوجد والغرام . ذكريات بعيدة كل هـذه الآن ، ومنطفئة ... جميلة هذه الساعة التى تغيب فيها الشمس ، وتطير الطيور فى السماء بعضها فى اثر بعض .

اقتربت منه السيدة مارينا دون أن تتعرف عليه . وقفت تتأمله، وقد انتابتها الدهشة لتلك السعادة المرتسمة على وجهه الهرم .

نادته بصوت خفيض : « ايها الأب ستاماتى » ولـكنه لم يسمعها كان يبتسم للسماء ، ويغمغم بين الفينة والفينة قائلا : « كونوا مثل طيور السماء .. كونوا مثلها ... »

جلست بدورها على حجر مقابل ، واومأت الى فيليباس قائلة :

ـ صه ! صه ! انه يتحدث الى الملائـكة !

انصاع فيليباس لها ، دون مناقشة . انزوى فى ركن ومضى ينظر الى العجوز باعجاب . كيف يحتمل أن يتحدث الى الملائكة دون أن يجن ! تسرى الرعشة فى بدن فيليباس كلما خطرت بباله الفكرة ! يشعر بالأجنحة البيضاء الحريرية ترفرف فى الهواء ، ويبدأ الخوف يدب فى عظامه . الأجنحة من حولهم ، انها تلمسهم ، وتكاد تربت عليهم . انه يشعر بها ويضطرب بدنه . ولـكن لو رآها بعينيه ، فانه يعرف انه عندئذ لن يحتمل . يلـكز السيدة مارينا فزعا ، فترد عليه من جديد بايماءة من اصبعها أن يسكت . ومن ثم يغمض فيليباس عينيه حتى لايرى ، فعدم الرؤية حماية له ، وظل على هذا الحال ينتظر .

تنتظر السيدة مارينا ايضا وتفكر. يوم السبت يبدأ ما نذرته . ستأخذ فانجيلاكي فى حضنها وستصعد سيرا على قدميها الى كنيسة القديس ايليا . انها ابعد الـكنائس والطريق اليها اشـد الطرق

وعورة . ستقطع حافية القدمين هـــــــذا الطريق المليء بالحصى الخشن ، وهي تعرف ان قدميها ستدميان . ولم تعر الأمر أهتماما قط . هذا ما يجب أن يحدث كي يشفى الولد . ان آلام اكليل ثقيل وعبؤه ملقى على الجميع . وستحمل هي على عاتقها ثقلا أزيد مما يحمله الآخرون من اجل ان يخف عن ابنها وطأة الداء الذى به . ستمضى الليلة معه فى الـكنيسة تصلى وفى الصباح سيقيم الأب ستاماتى قداسا ، وهو ذلك الرجل الطاهر الذى انتزع نفسه من هذا العالم الدنس . وبعدئذ ستصعد بمفردها مرة كل شهر لتوقد قناديل الـكنيسة . وذلك لمدة عشر سنوات ! واذا شـــاء القديس سيصنع معجزته . سيكف نزف الصـــديد من الجرح ، وسيشرع الولد فى اللعب . سيجرى مثل سائر الأولاد . ولن تكون عيناه حزينتين وتنظران من حولهما كما لو كانتا تتوسلان قائلتين : احبوني ! دمى قلبها ، وتنهدت بصوت مسموع . صـــدرت عنها تنهيدة مديدة ومتعبة . استدار الأب ستاماتى نحوها مبهوتا :

ـ انت هنا ، بارك الله فيك ، ولا تتكلمين ... وفيليباس ايضا هنا ... اهلا بكما ... اهلا ...

كان الوقت ليلا عندما عاد فيليباس الى البيت الذى يقيم فيه المصور . وجده عند باب الفناء وحيدا يتأمل النجوم . وقف بجواره واخبره بالنبأ مبتهجا :

ـ لست شيـــــــطانا !

ضحك الآخر قائلا :

ـ منذا الذى قال لك انني لست شيـــــــطانا .

ـ الأب ستاماتى ! كما قال لى أيضا الا اخاف ، وأن ترسمنى على الورق . وسأصعد يوم السبت مع السيدة مارينا وفالجيلاكى الى القديس ايليا ليقيم لنا الأب ستاماتى قداسا . وتعال معنـــا اذا أردت !

قال كل ذلك فى نفس واحد ، وهو يقف لاهثا ، وعندما فرغ انفجر يضحك . فضحك المصور ايضا :

ـ حسنا ، اذن ، سأرسمك .

قال فيليبـــاس :

ـ اريدك ان تفعل ذلك . الآن .

ـ الوقت ليل الآن يافيليباس . ولا أرى جيدا ...

ـ تستطيع ان ترى على ضـــوء الصبـــاح !

اصر على ذلك واشـــار له الى صاحبة البيت التى كانت تدعك زجاج المصبـــاح .

ــ هيا اذن ، فلتتحقق رغبتك !

نهض جذلا ، ودخل الغرفة . أخذ ورقا وقلما ، وجلس أمامه . ومضى يدقق النظر اليه .

قالت صاحبة البيت من مطبخها :

ــ سيرسمك اذن ، يافيليباس ؟

ثم جاءت الى الباب ونظرت منه .

نهرته قائلة :

ــ اين كنت طوال بعد الظهيرة ، أردتك ان تنقل لى ماء !

قال بتؤدة :

ــ كنت فى فيرويا ، عند العجوز .

وقف ينظر اليها نظرة جادة ، كما لو كان يزن ما اذا كانت أهلا ان تسمع ما سوف يستطرد الى قوله ، لـكنه لم يتمالك نفســه طويلا وقال :

ــ كان يتحدث الى الملائـكة !

انتهره المصور قائلا :

ــ لا تتحرك .

كانت رعشة العمل السحرى قد بدأت تستحوذ عليه . نظرة الى الخارج، نظرة الى الورق والى القلم والصفحة تمضى الى الامتلاء .

عاد فيليباس يشعر بالاضطراب فى جسده ، وهو واقف هكذا بلا حراك ، انتابته رغبة فى أن يجرى موليا الادبار ، وأن يحطم كل شىء ، وأن يزعق ، لـكنه تمالك نفسه لأنه وجد اليوم أما تسكن من روعه . قالت له : « لم تخاف ؟ » ثم مضى العجوز فقــال له بدوره : « لا تخف » .

يفوت بعض الوقت . تنحنى صــاحبة البيت على الصــورة ، وتقول معجبة :

ــ صورة طبق الأصـــل منك !

ويسأله المصــور :

ــ هل أنت مستعد ؟

ثم يناوله الورقة . ينظر اليها ... ينظر اليها مرتبكا فى البداية ، ثم فرحا ، ثم بوحشية يندفع الى الخارج .

يعج الدرب بصوته المجلجل : اخرجوا أيها الناس ... يوجد

فيليباس آخر هنا !
تقول صاحبة البيت :
ــ انه جد متقلب .
وجلست على عتبة البيت الخارجية . لقد طاش صواب المسكين لأنه رأى صورة القديس ايليا فى شبابه . رآه يقود مركبته وأربعة جياد ضارية . وكان الضوء باهرا حتى افقد التعس رشـده .. وكيف بامكانه ان يطيق كل هذه الضياء ؟
يستمع المصور الى ذلك وهو يدخن . ينظر عاليا .. حشـد هائل من النجوم .. هل تراها هى أيضا فى هذه الساعة باثينا ؟ ها هو أحدها يضيع ... هل تطارد أوهاما ؟.. كلا ... كلا.. ليس النور وهما من الأوهام .
ــ كيف يستطيع ان يحتمل المسكين كل هـذه الضياء ... كان بالامكان أن يطبق العمى على عينيه ... لـكنه فقد صـوابه بدلا من ذلك .
يهز رأسه لـكن ذهنه يشرد بعيدا . كلا ... كلا ، ليس وهما ، كل ما فى الأمر ان الضوء يخطف الأبصار ويفقد الصواب .
مضت صـاحبة البيت تقول :
ــ انى أتساءل ، كيف سيقوى العجوز على صعود الطريق الى هناك . تقدم به العمر الآن ... أين تلك السنين التى كان يصعد فيها الدرب يخطر مثل عصفور . كان فتى من أسرة كريمة المحتد فى اثينا ، وكان يعرف عدة لغات ، وكان حكيما .. كما يقولون انه ...
ــ ماذا يقولون ؟
ــ يقولون انه احب .
ــ وماذا حدث ؟
ــ ماتت هى ، فأصبح هو لذلك راهبا . هذا ما يقولونه ، ولكن من يدرى أين الحقيقة وراء كل شىء ، ولمـاذا نأتى هذا أو ذاك من الأفعال ؟ .. منذا الذى يدرى ...
صعدت السيدة مارينا المنحدر ببسالة ، حافية القدمين ، حاملة ابنها فى حضنها . قدماها الآن مثخنة بالجراح وذراعاها مهدمتان ، ولـكن قلبها خفيف . بدأ تنفيذ النذر ، فليشيف فانجيلاكى واما الباقى فيهون . أوقدت القناديل بخرت نفسها ، بسطت غطـاء الأرض أمام الأيقونة وأرقدته . ثم فكت الضمادة من على الجرح . وعندما انجز العجوز صلاة المساء أخذت زيتا دافئا مبـاركا من

القنـــديل ودهنت به الموضع السقيم وتركت الجرح مفتوحا هكذا أمام عينى القديس . كى يراه ويشفق عليه . مضى الصغير يتابعها صامتا . وفى عينيه نظرة دهشة متعبة ، كما لو كان يقول : لماذا تفعلون كل هـــذا ؟

فرغ الأب ستاماتى من صلاته ، وطوى جلبابه الكهنوتى . ثم التفت الى الصغير وقال : « عونك ، يارب » ناوله ملبسة ، ولكنه لم يعن حتى بأن يمد يده لتناولها .

بادرت أمه قائلة :

ـ ادخل أطباء اثينا الرعب الى قلبه .

هز الأب ستاماتى رأســـه أيضا . وقال بصوت هامس :

ـ اثينا .. اثينا .. ترى كيف حال اثينا الآن ...

كان فيليباس يقف وراءه . سمعه فافتعل ضحكة وقال كما لو كاد يحادث نفسه :

ـ اثينا .. خراب .. هذا حال اثينا .

مضى المصور الشاب يتأمل الأعمدة التى تسند القبـــة . ربت عليها بيديه ملاطفا وبعينيه أيضا أحاطها بنظرات تكاد تكون عاشقة. أحس الى حد ما كأنه مضطرب من الجمال الذى كان بانتظـــاره على هذه القمة .

كانت الكنيسة الصـــــــغيرة من النمط البيزنطى ، البيزنطى الكلاسيكى ، وكانت خطوطها عامرة بالانسجام والبهجة والعزة . ولكن الأعمدة التى تسندها كانت مأخوذة من بقايا معبد قديم ، والهيكل بدوره كان من حجارة وطيدة .

عاد فيليباس يقول :

ـ خراب هى اثينا .. ماذا تظن ؟

التفت اليه وضحك ســـائلا:

ـ هل ذهبت الى اثينا ، يافيليباس ؟

وكيف لم يذهب . عندما طلب للتجنيد ، الى هناك ذهبوا به . زحام ، ضجيج ، تدافع بالمناكب ، احتكاكات . احس كما لو كان تائها فى ذلك البلد الشرس . كان يذهب الى مقهى اهل جزيرته حتى يذكر لغته . وكان يقول : « العام القادم سأعود الى الجزيرة. اعدوا خطاباتكم كى أحملها معى الى أهاليكم » .

كان ابناء الجزيرة المغتربون يضحكون ، ويسألونه : « هل تعرف متى يكون العام القادم ، يا فيليباس ؟ » « العام القادم ؟ انه بعد

شتاء وصيف وخريف ، هذا هوالعام القادم» . والربيع ، يافيليباس، كيف نسيت الربيع ، يا فيليباس ؟ انه يذكر كل ذلك ويضحك الآن . وهل أنسى الربيع ؟ ثم يلتزم الجد ويجيل بصره فيما حوله مرتابا . ينظر الى الأعمدة الرخامية . ويشير للمصور الى القديس بخوف قائلا : وحده أتى بها الى هنا لبناء كنيسته . وبتلك الجرار كان يجلب الماء . هذا ما يقولون . تعال ، انظر .

كانت ثلاث جرار حجرية عتيقة ، عتيقة جدا ؛ منذ ايام ان كان يقوم على هذه القمة معبد لأبولون . استدار الشاب بغتة وثبت أنظاره باصرار على الأب ستاماتى كما لو كان ينتظر اجابة على سؤال خفى .

قال العجوز وقد بدت عيناه هادئتين وصادقتين :

ـ اجل ، عندما كان المستبدون يطاردون المؤمنين ، وقد نضبت المياه فى الآبار ، تعبت النساء والأطفال ، وعندئذ نزل القديس . وكل ليلة كان يحمل الجرار على كتفه ويجلب الماء الى المؤمنين .

ـ هكذا يقولون ... وعلى الدوام كانت نظرته مثابرة ، بل وتكاد تكون صارمة .

اجاب الأب ستاماتى بصوت هادىء زاهد :

ـ رآه المؤمنون .

اضطرب بدن فيليباس . راوه بمركبته وجياده التى كانت تنفخ النار من خياشيمها .

قال بصوت خفيض متوسل :

ـ فلنذهب الى الخارج . الغروب بالخارج . الغروب الوردى ، وطيور الحجل تطير على مستوى خفيض . البحر من كل جانب ، والجزر الأخرى البعيدة ، كما لو كانت تسبح فى هذا الضوء الوردى . لاريب أن الليل يقبل . ولكن طوال هذا اليوم الذى انقضى كانت الشمس قد روت الوجود الى الأعماق ... الىالأعماق حتى انها الآن وعلى الرغم من تأهبها للرحيل فان ضياءها لازالت تنسكب على كل الأرجاء ، من التراب ومن الموج ومن قلب الحجر وجذور الشجر .

بدأت تهب نسمات قليلة وداعبت لحية العجوز الطويلة مثلما تداعب خيوطا من حرير . تسلق فيليباس الى البرج واخذ يدق الجرس وهو يقفز جذلا كانت هبات الهواء تحمل الاصداء عذبة ، وتحيلها الى ضياء بدورها .

تمتم الأب ستاماتي في نشوة « ضياء صافية .. ضياء صافية».
نظر اليه المصور قلقا مضطربا . تولد في أعماقه احساس يشبه الحسد من هذه السكينة وبراءة الطفولة .
ضوء صاف . الضوء من جديد ، الضـــوء دائما وعذابه ... شجرة شوك مختالة مزدهية ، لوحة نصف مكتملة ، بها اشـجار زيتون وسرو . كل شيء فيها متقن ، ولـكن ثمة ما ينقصها ... وصوت الصبية يقول : تجري وراء المستحيل . وصوت ربة البيت يقول : كيف يحتمل المسكين كل هذه الضياء .. الضوء دائما .. الضوء الذي يدفع الى الجنون، الضوء المفتقد ، الذي يأتي بالسكينة.. يريد أن يعض يديه ، أن يبـكي ، ولـكن فوق كل شيء يريد أن يتكلم .
كم هو معذب هذا الشاب الوسيم ، كم الأمر ساحر واليم ، هذا مايفكر فيه الأب ستاماتي..كلا، ليس الضوء وهما ، يابني . فليكن ايمانك قويا أيها الشاب ... تريد أن تأسره في لوحاتك وعلى عجل . انظر الى هذه الأعمدة وهذه القبة . لقد أسره الصناع على النحو الذي حلموا به ، أسروا الضوء . ليس اذن وهما ... لم تخاف ؟ يجب فحسب أن ترتوي أعماقك .. لا تكن عجولا يابني... وكن اكثر تواضعا .
نزل فيليباس من البرج وجاء يجلس الى جوارهم . بدا عليه الفرح . وبين الفينة والفينة يقول لنفسه : كل شيء حسن ، كل شيء حسن .
ـ ليس خرابا هنا ، هيه يافيليباس .
ـ كلا ... والآن معي فيليباس آخر . وهكذا ستكون لي صحبة خاصة بي دائما .
نهض ضاحكاحصيفا، واخرج من جيبه الرسم الذي خطه المصور له ، بسطه بحرص وامسك به الى جانبه هكذا مفتوحا . أخذ يتحدث اليه باحترام ، ويريه القرى والأديرة البادية من القبة العالية .
ـ انظر ، هناك يافيليباس ... ها هي « القلعة » و « المنزلة » و « عذراء النبع » .
كان المصور يصغي اليه ويفكر « هكذا كنت أريها النجوم أحيانا . هذا النجم سيريوس ، وهذا النجم القطبي ، وهذا النجم كاسيوبي ... كلا ، ليس خرابا هنا ، ولـكن لو كانت أيضـا هي بجواري وأسند رأسي الى حجرها لما احسست الى هذا الحد بالبحر يضغط

علی ويحاصرني مقصيا اياي عن سائر الدنيا .
ـ هناك يافيليباس ، انظر... انظرالكنيسة الصغيرة في «حلالی» وتلك في « بارون » .
كرر الأب ستاماتي اسمي هاتين القريتين بتؤدة . ثم شرع يحكي قصة كل منهما كما لو كان يحكي «حدوته» من « الحواديت » .
... في سالف العصر ، تزوجت احدى الأميرات واعطيت لهــا الجزيرة كلها بائنة لها . كانت أميرة من الفرنجة وزوجها كان بارونا. لـكنه لم يبق وفيا لها . ولم يمض عام على زواجهما حتى رحــل تاركا في قلب الأميرة جرحا . مضت عيناها تذرف الدموع كلما بلغتها أخبار زوجها في مجونه ومتعه الى أن نضبت في مقلتيها ينابيع الدموع . وعندئذ هدتها بصيرتها الى فكرة عمدت الى تنفيذها . بنت الأميرة لنفسها ديرا وصارت راهبة وغيرت عقيدتها حتى تقطع كل ما يربطها بالخائن من روابط مضت السنين تارة سريعة وتارة بطيئة ، كما تمضي السنين عادة . وفي ذات صباح ملأ صخب الموج سماء الجزيرة لقد عاد البارون . وأمام الأميرة ركع ذليلا . حدثها عن حبه لها الذي كان له طوال هذه السنين تعويذة وعن الهموم التي سقتها اياه مغريات الحياة . واستحلفها بالله الا تتركه وحيدا . مضت دون أن تنبس ببنت شفة تنصت اليه كما يجب أن تنصت اميرة جريحة القلب طعينة . ظلت لا تنطق بكلمة ولا تحرك ساكنا فغضب هو لأنه كان سليل المحتد وذا رجولة ، وفي سورة غضبــه صاح فيها غير مالك لنفسه : لماذا لم تنتظريني ؟ لماذا صرت راهبة ؟ لماذا ؟ . على انها لم تجبه قائلة وبحق : لأنك هجرتني ، وكنت خائنا . كلا ، لم تجبه بذلك ، بل رفعت راسها في اباء ونظرت اليه طويلا وقالت : اني فعلت ماحلا لي !
يقولون انه اصبح بدوره راهبا . انه غير دينه بدوره . ويقولون انه بنى لنفسه كنيسة صغيرة وترهب فيها . ويقولون انه كان كل ليلة يشعل نارا على السطح فوق برج الجرس ، وان الأميرة كانت تنظر الى هذه النار من الطرف المقابل حتى ساعة متاخرة .
قالت له : « فعلت ماحلا لي ! » ومن هنا نشأت تسمية الدير بدير « حلالى » والـكنيسة الاخرى لازال الناس يطلقون عليهـا « البارون » .
عند الفجر استيقظ المصور ، وخرج ينتظر رؤية الشمس . لم يكن يمسك بيديه لا ورقا ولا قلما الا أن ثمة احساسا بالسكينة

داخل قلبه .لم يكن يرى البحر ، لأن ضبابا كثيفا كان قد احتضن القمة وحجب الرؤية . كان ينظر مبتسما الى تلك الناحيـــة من السماء الذى بدأ يتورد ، ومضى يفكر فى الـكلمات التى سـوف يكتبها الى الفتاة التى كانت تشعر بالعزلة فى قلب اثينا الصاخبة .

« عزيزتى ، أوجد فى جزيرة يونانية . ليس للزمن اعتبار هنا . وللأشواك جمال يجرح . وكل شيء ضياء . ها هو فيليباس قد اختل منطقه من وفرة الضياء ... عزيزتى ، فانجيلاكى الصـغير مريض ويتعذب ، وقطعت امه الطريق الصاعد كله حافية القدمين حتى دميتا ، وامضت الليل ساهرة تصلي . لأن الم الانسان ــ كما تقول ــ اكليل ثقيل الحمل ، ولأنه لو لم يكن فيليباس وحيدا فى هذا الوجود ، وكان له من يتألم له ، لاحتمل الضياء . تفهمين... ياحبيبتى ، لاتجيبى قائلة مثل الأميرة القديمة ... فعلت ما حلا لى .. لاتجيبينى هكذا ، لأن ذلك موت . يفلت المرء من اســار الزمن هكذا كما فعل الأب ستاماتى ... ولـكن عنـدما جاء أول الأمر الى فيرويا لابد ان الاحساس بهذا البحرالمحيط به من كل جانب كان يخنقه ... لاتجيبى بذلك ، ارجوك ، احضرى فحسب الى جوارى لتساعدينى على أن أصبح متواضعا ، وأن أرتوى بالضياء مثل جذور الشجر وقلب الحجر ... »


حلم فتاة
كوستاس خادزيبولوس

حلم فتاة

لم تحظ كلارا بحب رجل قط . لم تكن تريد ان تصدق انها على غاية من الدمامة ، وان كانت تحس بالخوف من ذلك فى قرارة نفسها ، لكن أحدا لم يحبها قط ، والى رفيقاتها اللاتى كن يتباهين بغرامياتهن كان يجب ان تجلس وتنسج بدورها وتنتحل قصصا من صنع خيالها عن شبان وقعوا فى هواها ذات مرة وعن آخرين لازالوا يطاردونها . تارة كانت تحكى عن نزهات عاطفية تجوس فيها الغابات مع عشيق ، وتارة اخرى عن أسفار بزوارق ومراكب عبر النهر والبحيرات مع آخر . كل هذا كان يحدث ايام الآحاد بينما كانت كلارا تلزم الدار تؤنس أمها المريضة ، أو تخرج فى المساء تتريض فى الأماكن الخلوية تتنسم بعض الهواء وتغزل بشكل أفضل فى الهواء الطلق الحلم الذى سوف تحكيه فى الغد لرفيقاتها . كان صديقها الآن فتى غريبا عن الديار، أسمر البشرة ، اسود الشعر والعينين ، جاء من بلد بعيد ، بلد لا يسقط فيه الجليد ابدا ، وتمتد فيه الحقول على مدى النظر فى حضن نسمات دافئة . وتتدلى الأغصان من الشجر ، وفى الغابات تحيا طيور غريبة ، والقصور التى يرين عليها الصمت تنعكس أعمدتها وسطوحها على صفحات المياه الصفراء فى الأنهار . كانت صويحباتها تتسع حدقاتهن عندما كانت كلارا تحكى ان لصديقها قصرا ، وسيأخذها اليه ليعيشا معا .

كانت كلارا تنتظر مجيئه مثلما انتظرت الآخرين الذين لم يجىء منهم أحد . وذات مساء أثناء عودتها الى البيت عندما شعرت بخطوات مثل خطواتها وئيدة ساكنة تتعقبها داخلتها الظنون عما اذا لم يكن هذا الذى خلفها هو عشيقها حقا . ولكن لما كانت الدماء قد تجمدت فجأة فى عروقها ، وخفق قلبها بشدة ، فقد عجزت عن أن تستدير على عقبيها وتراه . على انها عندما وصلت الى باب دارها ودخلت التفت وألقت وراءها نظرة خاطفة . فرأت عينيه اللتين لمعتا تحت ضوء مصباح الطريق . صعدت الدرجات بسرعة وجرت الى النافذة

كان يقف بلا حراك الى جوار عامود النور ، وقد تسمرت نظراته على شباكها .

لم تذق كلارا طعم النوم تلك الليلة ولا الليلة التالية ، لأن خطوات ذلك الغريب تعقبتها الليلة التالية أيضا . وعندما صعدت الى بيتها عاد يقف مثل نصب امام شباكها وقد رفع عينيه نحوه ، وفى الليلة الثالثة لم تعد كلارا بقادرة على أن تحتمل المزيد . لبست قبعتها من جديد ، ونزلت الى الشارع ، وقد اعتزمت أن تذهب الى الغريب مباشرة ، لكنها مضت رغما عنها تسير فى الطريق ، دون أن تعرف الى اين مقصدها . يلقى بها كل درب الى درب آخر ، حتى وجدت نفسها فى المنتزه الكبير . عبرت كلارا الجانب الغامر بالضوء والناس ، ودلفت الى أحد المماشى الضيقة المتعرجة مثل ثعبان التى لايلمسها النور الا لماما فيضيع تحت ظلال الأغصان السوداء . اندست فى ظلمتها ومضت قدما . ومن ورائها احسنت بخطوات الغريب تتبعها بطيئة متئدة ماضية فى أعقابها . ظلت تمشى حتى وصلت الى مكان تقطعه بركة تكاد تختبىء تحت الشجر . وعندما توقفت توقفت بدورها الخطوات الى جوارها . وعندما جلست على الأريكة التى كانت هناك عند حافة الماء وجدت الغريب جالسا بالقرب منها . وعلى ضوء مصباح يتدلى من بين الشجر امكنها ان ترى من جديد ملامحه . كان أسمر الوجه ، اسود العينين والشعر ، غزير الخصلات . كان هو .

نظرت اليه كلارا صامتة ساكنة ، كما لو كانت غارقة فى حلم . أشجار واطئة نحيلة محنية ملتوية الأغصان . اشجار هزيلة ، اوراقها ممدودة مثل نصال حادة ، ملونة ، غريبة ، معروقة مجهولة ، تلمع مثل الذهب فى وهج الشمس الفاربة . وأمامها تفتحت وضاءة الزرقة الحقول الشاسعة التائهة بعيدا فى الأعماق الدفيئة . وقد كانت قد قرات فى الكتب عن العيون الداخلية التى ترى أحيانا قبل العيون الخارجية ، وثبتت انظارها على الغريب وانتظرت ان يتحدث اليها ، ومضت تحلم بأن يكلمها وتتلهف الى كلامه عن بلده البعيد ، عن الطيور الغريبة التى تعيش فى الغابات ، عن المياه الشاحبة الساكنة التى تنعكس على صفحتها مثلما فى مرآة القصور ناصعة البياض ، لكن الرجل الغريب لم يفتح شفتيه بكلمة ، بل مضى ينظر اليها بدوره صامتا ساكنا . هكذا ظل صامتا طوال تلك الأمسية ، وساكنا صامتا أيضا طوال كل الأمسيات

اللاحقة ، عندما كانت كلارا تقوده وراءها ليجلسا جنبا الى جنب على الأريكة ذاتها ، عند حافة البحيرة

لم تعد كلارا الآن تحكي شيئا لرفيقاتها من هذه القصة . كانت تلزم الصمت ، سارحةالبال طوال النهار كما لو كانت تحلم وتنتظر قدوم المساء فحسب .

وأخيرا ، ذات مساء صامت معتم مثل سائر الأمسيات ، ذات مساء انسكب فيه ضوء المصبـــاح كعهده دائما على وجه الرجل الغريب ، وزحف عند قدميه مثل أفعى ، وارتعش أصفر شاحبـا عند حافة الماء ، ازدادت كلارا اقترابا من الغريب ، وامسكت بيده.

لم يحرك ساكنا . تركها ممسكة بها . نظر في عينيها وسألها :

ـ ما اسمك ؟

اخبرته كلارا باسمها .

اجابها الغريب ولازال يثبت عليها بصره قائلا :

ـ لست انت .

اتسعت حدقتا كلارا .

ـ لست انت . تشبهينها فحسب . تشبهينها في دمامتها .

همت كلارا أن تسحب يدها ، لـكنه أمسك بها :

ـ ... ذات الشفتين المترهلتين ، ذات الوجنتين اليابستين نافرتي العظام ، ذات العينين الصغيرتين المنطفئتين عديمتي اللون ، ذات الجسد المحنى . كانت بدورها أكثر النسـاء دمامة . ما من احد اولاها التفاتا ، ما من احد اكترث بالتحدث اليها . ما من احد أحبها . الناس عديمو القدرة على رؤية الروح . وهي كانت روحا طيبة . لم تنبس ببنت كلمة . لم تطلق ضـــحكة واحدة في صحبتي قط . كانت تجلس عند الطرف فحسب ، منكمشة. ومثل نمرة في قفص مضت تراقب في صمت الأخريات اللاتي كن يضحكن معي . لم تكن هي تشبههن . لم تكن على غرارهن . لم يكن لها مكان في هذا العالم . من أجل هذا قتلتها .

انتفضت كلارا ، لكن الغريب لم يترك يدها .

وأردف قائلا :

ـ كنت أحبها ، فقتلتها . لـكن لا تخشي ، فانا لا احبك . انك لست هي ، كما خيل الي عندما رايتك اول مرة . اعتقدت ان روحها قد انتقلت اليك ، انها قد بعثت فيك ، انها عادت الىالحياة معك . لـكن ، كلا ، انت لست هي . انت تخافين ، أما هي فلم

تكن تخاف . انت ترتعدين ، اما هي فلم تكن ترتعش . من تلقائها نفضت ضفائرها واعطتني اياها ، في يدي اعطتني اياها ، فعقدتها حول عنقها . شددتها واحكمت الرباط وكلما ضاق حولها اتسعت عيناها ، عيناها الضيقتان ، واطلتا على الهاوية السحيقة. وانفتحت هناك ابواب على مصراعيها . مثل لوحين من الخزف اجيد صقلهما لمعت عيناها الباهتتان ، ومثل قطعتين من الياقوت تقطران دماء، ومضت العينان المنطفئتان . تملكني الذعر فغطيت وجهها . لم اعد ارى سـوى الجسد العاري . تلاعبت انوار صفراء ووردية شـاحبة . وغرقت هناك اضواء براقة ناصعة لازوردية وخضراء وعسجدية . وكما تنطفىء الالوان ذات يوم معتم في محارة ، وكما يرتعش في اللجة القمر غير المـكتمل مخترقا الاغصان من عليائه ، هكذا كان يلمع الجسـد العاري امامي .

نظرت كلارا الى البركة حيث كانت تشير يده .كانت المياه مظلمة ، ولم يكن القمر باديا . عند الحافة فحسب ، هناك امامها ، كان وهج المصباح يرتعش ارتعاشات صفراء .

مضى الغريب قائلا :

ــ لمـاذا عارية ؟ تجردت من ثيابها عنـدما رات انني اريدها عارية ، والقت بنفسها على الفراش . اما انت فلا تريدين . انك لاتفضين وحدك ضفائرك .

مد يده نحو عنقها ، كما لو كان يريد أن يفتح صدريتها .

انتفضت كلارا من جديد .

قال لها الغريب :

ــ لا تجزعي . لا اريدك انت .

وانزل يده .

ــ تلك تركتني اجردها من ثيابها ، ورقدت في الفراش عارية . لم ادنسـه . فطيت الجسد العاري ، فقد كان يملأني رهبـة بريقه . قبلت يدها فحسب وكانت تتدلى خارج الغطاء . كانت يدها جد صغيرة ولينة ، اما يدك فدميمة ، ولن اقبلها . يد خشنة مفلطحة رديئة الخلقة .. انك لست هي . لم تخرجي من الميـاه الصفراء التي ذهبت والقيت بها فيها حتى لايرى احد آخر الجسد العاري . انك لست هي ، تشبهينها فحسب . انت لا تريدين ان تموتي ، لا تريدين ان تحبي . لاتستطيعين . ام انك تريدين ؟.. خبريني !

ظل ممسكا بيدها ضاغطا عليها بشدة .
تكسنت كلارا وجهها . لم تكن بقادرة ان ترفع وجهها الى وجهه ، لم تكن لتقوى على رؤية عينيه اللتين تومضان واسعتين سوداوين باردتين تحت الضوء الأصفر .
بعد هنيهة احست بانه أفرج عن يدها . وعندما جرؤت ورفعت وجهها من جديد كان الغريب قد اختفى .
فى المساء التالى ، عندما عادت كلارا الى البيت ، لم تسمع وراءها خطواته . وعندما اطلت من الشباك لم تره واقفا امام البيت ينتظر لقد انتظر ولم تظهر هى . نزلت الى الشارع ودون أن تدرى وجدت نفسها فى المنتزه تجلس عند حافة البحيرة . ظلت وحدها ساعات مطرقة دون حراك . لم يحضر الغريب . ولكن عندما نهضت لتنصرف ودلفت الى الممشى الضيق المظلم خيل اليها انها سمعت ربما وراءها أو على مقربة منها او من بعيد ، أو ربما من داخلها فحسب ، اصداء قهقهة مديدة هائجة متوحشة تمضى الى زوال .

أنوار في أغوار المحيط

بيتروس خاريس

أنوار في أغوار المحيط

عاشت الجزيرة الصغيرة منسية من البشر اجمعين . نسيها ايضا جند العدو . فى الأيام الأولى للاحتلال ، جاءوا الى مينائها . عينوا رجلين مدججين بالسلاح للحراسة ، ما لبثا بدورهما ان انسحبا بعد قليل تاركين الجزيرة الصغيرة مسمرة فى مكانها بين البحر والسماء .

وقد كانت الجزيرة منسية حتى فى السنوات الطيبات ايضا .

وفى صدد تفسير هذا العزوف عن الجزيرة ذهب اهلها يقولون « واضح ، اننا لسنا على طريق مطروق . لسنا على خط القتال » ولم يكن يريدون أن يفكروا فى تعليل آخر . وكيف بامكانهم أن يفكروا فى غير هذا ؟ هل جاءهم أحد ، هل رآهم أحد ، هل تعرف بهم أحد حتى يمكن أن يكتسبوا حبه أو يسببوا نفوره ؟ سكان الجزيرة لايزيدون على مائتى وخمسين نسمة أو ثلاثمائة على الأكثر . لم يكن هناك سوى عمدة هو أعلى السلطات ، وعامل تلغراف يحادث الريح والسحب ، ويخبر أهل الجزيرة بما يدور فى العالم البعيد ، وكأنه أشبه بساحر أو نبى .

كل ماتملكه الجزيرة من مراكب البحر مركبان ، كانا فى السنوات الهادئة يتسكعان فى المياه القريبة ، يتجران فى بعض الأشياء . وفى قليل من الأحيان كانا يبلغان ميناء بيريه ، ويجلبان من هناك بعض البضائع . لكن المركبين الآن مربوطان . وبين الحين والحين ، وقد أصبح هذا أمرا نادرا ، كانا يبحران للصيد ويعودان الى ميناء الجزيرة سريعا . كان البحر قفرا مهجورا الى حد يثير الفزع . مامن دخان ، مامن شراع ، ولا حتى جناح طائر يرفرف على مدى البصر ، كان هو البحر القديم ، الموغل فى القدم ، البحر السابق فى وجوده على وجود البشر . وحيدا ، مترامى الأطراف ، طليقا بالنهار ، وبالليل يتبادل مع القمر ومع الظلام أحاديث كتلك التى جرت فى الساعات الأولى للخليقة بين الأشباح الخفية وقوى الطبيعة ، دون أن تلتقط اذن الانسان من تلك الأحاديث كلمة ، ومع ذلك ، فلا زال فكره يبحث لها الى الآن عن مغزى ودلالة .

ادرك اهل الجزيرة سريعا انهم سيقضون زمن الحرب فى ضنك معتمدين على ما تجود به أرضهم فحسب . ولو كان بامكانهم أن يعرفوا ماذا كان يجرى فى الأنحاء الأخرى من اليونان لباتوا راضين بذلك على اى حال .

لاشك انهم كانوا سيقضون اياما عجافا من الزاد اشياء واشياء ، لـكنهم من الجوع ما كانوا سيموتون . المرض وحده كان يفزعهم . فحتى فى ايام السلم قلما اتسع لهم الوقت كي يسعفوا مريضا فى خطر . كانت الباخرة التى تمر بالميناء تمر متأخرة ، والمركب كان يتأخر فى الابحار . كانوا يتشاورون فى تكاليف العـلاج الباهظة ، ولايقدمون على اتخاذ قرار عاجل ، فكان المريض فى مرات عديدة غير قادر أن ينجو عند وصوله الى مدينة من مدن الحضر الكبيرة .

هكذا ظلوا فى عرض البحر . بعيـدا عن الحرب ، بعيـدا عن العمران ، فى صحبة عامل التلغراف الذى يخبرهم من وقت لآخر كم اضحى الانسان فى الشرق والغرب وحشا ضاريا فى جبهـات القتال الـكبيرة والصغيرة ، وفى رعاية الله الذى كان يتـابع قرير العين امور أهل الجزيرة فى حياتهم الهادئة ، ومع الأيام اضمحل ما للعمدة من سلطان . واصبح غير قادر ــ حتى لو أراد ــ أن يرفع عقيرته بالصياح ، فلم تكن لديه القوة لذلك . كان بدوره يأكل نصيبه من الخبز القليل الذى تنتجه الجزيرة ، ولم يعد يبـدد قواه فى الزعيق والتهديد . وبعد قليل ، فقد عامـل التلغراف سـطوته بدوره . عطل ما اصاب اجهزته ، فأغلق مكتبه ، وكف عن أن يكون الساحر والنبى . وبذلك انقطع الخيط الوحيـد الذى كان يربط الجزيرة بالجانب الآخر من العالم ايضا . جاءت ليال ملأتها أحلام غريبة ، واقبلت ايام تولى فيها شرح الأحلام القدامى المسنون من اهل الجزيرة ، متخذين من رموز تلك الأحلام نبوءات تشـير الى الحرب ، والمجاعة ، والى ما حل بالدنيا من نـكبات .

بعد شهور كثيرة عاد الجنود الأغراب الى الظهور . مكثوا بالجزيرة وقتا قصيرا ، وقالوا القليل ــ اقصد هذا ما أنبأنا به واحد من بنى بلدتنا سار فى اثرهم وكان يعرف لغتهم . أمر واحد تركوا :

ــ ما من ضوء بالليل ! ولا حتى سيجارة مشتعلة !

فى الفجر وصلوا ، وعند الغروب رحلوا . وما لبثت العتمة أن ابتلعت قاربهم الصغير .

سأل اهل الجزيرة العمـدة الذى كان لهؤلاء الأغراب معه .

حديث قصير ، فلم يعرفوا منه شيئا ، سالوا القسيس الذى القى عليه الأغراب تحية الصباح ، ولكن من جديد لم يعرفوا شيئا . سالوا دون جدوى سكرتير المجلس البلدى الذى مثل أمام أولئك الأغراب معلنا ان الرئيس يلازم الفراش ولكن مامن كلمة. بافواه مقفلة جاءوا ، وبأفواه مقفلة انصرفوا . ومع ذلك كانوا قد قالوا شيئا جللا : ان الحرب لازالت قائمة فى البلاد .. ولابد ان الأمر كان كذلك أيضا فى العالم كله ، حيثما وجدت أرض ، حيثما وجد بحر، حيثما وجد بشر .

كانت الليالى مليئة بالأحلام ، التى تبث بالنهار الآمال فى القلوب او تثير الذعر فيها . مضت الجزيرة تنتظر ، وتنتظر، حتى تعودت الانتظار ، فكفت عن أن تسال البحر الذى سمع وعرف الكثير ، ويطبق شفتيه ، فلا يدع سره يبين فى عينيه الواسعتين سواء فى حالة زرقتهما وهدوئهما ، أو فى حالة تموجهما وتحول لونهما الى الخضرة ، أو عندما تظلمان وتسودان من شدة الغضب .

فى الشتاء كان النهار ينقضى سريعا ، أما الليل فلم يكن له نهاية. وحتى الأحلام لم تكن بقادرة أن تقصر من طول تلك الليالى الشتائية ، طالما لم تكن فى ديسمبر وينساير بكافية لملء كل تلك الساعات الثقال البطيئة . أمام الميناء ومن حوله ، كانت البيوت الصغيرة فى تجمعها أشبه بتجمهر متأهب لكل ساعة صعبة . أما الميناء فكان خاليا . بضعة قوارب جذبت الى الشط الرملى ، المركبان مربوطان وراسيان . يضعف الريح تارة ويشتد تارة أخرى، يتجاذب أحاديث الود والصفاء حينا مع البحر ، ويدب الخصام بينهما حينا آخر ، فيستعر عراك الموج مع مركبى الجزيرة .

كانت الساعة تناهز العاشرة مساء ، وهو وقت متأخر بالنسبة لأهل الجزيرة ، فكانوا غارقين فى سباتهم عندما وفد اليهم الصوت المجلجل ، تلك الليلة ايقظهم جرس الكنيسة الذى مضى يدق كما لو كان يقول لهم :

ــ انهضوا ! اجروا ! اجروا بسرعة !

تمكن البعض من ارتداء ملابسه ، وخرج البعض ولم يكمل لبسه . جروا جميعا ، فوجدوا شابا قد تسلق الى جرس الكنيسة واطلق كل هذا الانذار السائب .

ــ أوه ، ياله من مجنون !

كان فانجيلى « عبيط » الجزيرة ، لم يكن له بيت يأويه ولاملابس

مناسبة تستره . ينام تارة هنا وتارة هناك . ويحسن عليه هـذا ويعطيه ذاك كسرة خبز يقتات بها فتقيم أوده .

اولئك الذين وصلوا قبل غيرهم هجموا عليه ساخطين كي ينزلوه ويلقنوه أن يخلد بالليل الى النوم الهادىء . ولـكن صـدهم عنه القس الذى هرول بدوره دون أن يكمل ارتداء مسوحه الكهنوتية :

ـ مهلـكم لحظة !

وشخص ببصره عاليا الى برج الأجراس ، وقال بلهجة آمرة :

ـ انزل ، يافانجيلى !

اطل « العبيط » على الذين ينتظرون عند سفح البرج غاضبين . رآهم يتزايدون برهة بعد أخرى . تردد ، لـكنه ما لبث أن نزل. ابقاهم القس بيده الممدودة بعيدا :

ـ ماذا حدث لك ، يافانجيلى ؟

ـ مركب ، ياجدى ، سفين ! رأيته بعينى ، بوضوح رأيته ، واطلقت الاشارة حتى يراه الآخرون أيضا .

لم ينتظر الحاضرون دقيقة . تركوا فانجيلى وهرعوا الى الميناء . وقد انضم اليهم آخرون ممن هبوا من نومهم مذعورين يرتعدون من الخوف والبرد . وفى أعقابهم مضى القس وفانجيلى .

وفى الميناء اتسعت دائرة التجمع ، فقد تواجد هناك أهل القرية كلهم . دارت العيون فى المحاجر ، عيون أهل الجزر التى تعرف أن تنقب فى ارجاء الليل ، وتنبش على الأخص فى ليل البحر الساجى..

ما من نسمة سمعت . والهدوء منبسط على البحر الذى شرعت امواجه تهدر فى حركة فاترة ، كما لو كانت بدورها قد استيقظت على صخب الناقوس . وكان الظلام كثيفا حتى لـكنت تلحظ أدنى ومضة ضوء تبرق على أديمه . ولـكن ما من شىء ظهر ، حتى تلك الومضة لم تبد لهم ، فما بالك بسفين ، بسفين قيل انه أضاء كل أنواره. نظر كل منهم الى الآخر، تأكدوا من انهم لم يكونوا مخطئين. ثم استشاط غضبهم من جديد . لـكن فانجيلى لم يكن وحـده هذه المرة ، بل كان فى صحبة القس الذى يعرف انه يتعامل مع « عبيط » مختل .

قال له بلهجة صارمة ، جامدة حتى لا تنم عن غضب :

ـ اين ترى هذا السـفين ؟

ـ ماعدت أراه الآن ، ياجدى .

ـ واين رأيتـه ؟

ــ هناك ، ياجدى ، هناك .
أشار الى اغوار البحر ناحية اليسار ، فى الاتجاه الذى كانت تسير فيه السفن عندما كانت تمر بالجزيرة مرورا عابرا .
دقق الجميع النظر ، حاولوا أن يميزوا فى الظلام شيئا ما ، لكنهم من جديد عجزوا تماما عن الرؤية . وادرك القس انه قد يقع مكروه فى ظلمة الليل وغمره الغضب الذى اجتاح كل هؤلاء الناس ، فسعى الى تبرئة فانجيلى وتبرير مسلكه امامهم :
ــ هل رايت السفينة بوضوح ، أم خيل اليك انك تراها ؟ هل كنت مستيقظا أم نائما ؟
ــ رأيتها ، ياجدى . اقول لك رايتها .
ــ ومن اين رأيتها ؟
ــ من الشباك الكبير فى المخزن .
وقد قصد فانجيلى بذلك الشباك شباك المبنى الذى تهدم نصفه حيث يقضى هذا الشتاء فى خرائبه .
ــ وكيف رايت السفين فى تلك الساعة ؟ ألم تكن نائما ؟
ــ لم اكن نائما ، ياجدى .
ثم خفض صوته :
ــ كان الجوع يمزق احشائى . من أول امس لم أذق طعاما .
لم يعد بحاجة الى حماية القسيس . اخذ الناس مثنى وثلاثا يستديرون ، يولون ظهورهم الى البحر ، وينصرفون . كانوا يرجعون الى رقادهم ليحلموا بالسفين الذى لم يروه من على الشط فى صحوهم .
لم يمض اسبوع آخر وامتلأ الليل من جديد بصوت الجرس المجلجل . لم يغادر الجميع فراشهم ، ولكن الذين قاموا جروا ليمسكوا بفانجيلى ، ويحكموا وثاقه حتى لا يعود الى ازعاجهم من جديد . الا انهم عندما وصلوا الى الكنيسة ، رأوا ما لم تكن عيونهم بقادرة أن تصدقه ، وسمعوا ما لم تقو عقولهم على فهمه.
من أعلى البرج ، صاح فيهم خريستو ، وهو شاب من خيرة العمال فى البلدة ، وطيد البنيان ، رزين ، مقتصد فى كلامه ــ صاح فيهم قائلا :
ــ رأيته ! رايته . وكان سفينا كبيرا وضاء الأنوار ، وضاء الانوار !
لم يكن خريستو عبيطا مختلا ، لكنه عندما ذهب الى الميناء مع

الذين صحوا من نومهم وجروا الى الميناء ، ثم لم ير شيئا ، حتى شعاعا واحدا لم ير فى الظلمة الدامسة ، كاد يفقد صوابه .

وعلق أحد الشيوخ قائلا :

ـ لابد انها عرائس البحر تمر من بعيد . هيا الآن نعود الى اسرتنا وننام .

على ان خريستو ، لم يحرك ساكنا ، ولم يخفض عينيه عن البحر وعن الظلام . ولو لم يعمد أصدقاؤه بكياسة الى اصطحابه معهم بعد قليل ، لظل هناك ، فى الظلمة الكبيرة ، حتى الصباح . لقد رأى السفين . كان مستعدا ان يقسم على ذلك وأن يضع يده فى النار لقاء قسمه . فى حضور الآخرين اختفى السفين من أمامه . ما عاد يرى شيئا . لم يكن بقادر أن يذكر لهم أين رآه ، على وجه التحديد .

فى الصباح ، أدرك خريستو ان القرية غيرت رأيها فيه ، وصارت تنظر اليه بنظرات مختلفة عن ذى قبل . فانجيلى خيل له انه يرى فصعد الى البرج ، ومضى يدق الجرس ، مقبول هذا ، أما هو فيصعد ، ويدق الجرس بدوره ؟ ! هذا ما كان لا يطيق خريستو أن يتصوره عن نفسه طويلا ، الا انه قبل أن تمضى عشرة ايام انقذه افغوستوس ورد اليه اعتباره ، فقد صعد بدوره الى البرج ، ودق الجرس عند منتصف الليل وفى صميم الليل الوعر . استيقظ الجميع من جديد ، ولكن قليلين هرعوا هذه المرة . وركب العناد افغوستوس فلم يغادر الشاطىء حتى الصباح . لقد رأى السفين ، ولم يكن هذا السفين يمر من بعيد ، كان قادما الى الجزيرة ، متجها الى مينائها رأسا .

لم يكن فى الجزيرة عبيط غير فانجيلى . لم يكن ثمة أشباح أو جنيات . وكان السفين أول شبح يؤرق بال أهل الجزيرة ، ويقلق نومهم . فكروا أن يرقوا الميناء ، ويطردوا الأرواح الشريرة من شواطئهم . قالوا ان يلقوا ماء مقدسا فى البحر ليقصى شبح ذلك السفين بعيدا ، بعيدا جدا ، الى بحار أخرى . قالوا ذلك ، ولكنهم تشاوروا فى الأمر وترددوا . ما خطب هذا المركب ، وما الذى يجعلهم يرهبونه ؟

ـ على ظهر سفين ، سفين من سفن أسطولنا ستكون مصابيحه مضاءة كلها ، لو كان الوقت ليلا على مثل هذا السفين ، ألن تأتى الحرية ؟

هذا ما قاله القس ، وصدق عليه العمدة . فهدأ روع الجزيرة ، وحتى فى الليالى التى كان يدق فيها جرس الكنيسة لم تعد القلوب تضطرب . ولم تكن هذه الليالى بالثقيلة ، على اى حال. فبعد افغوستوس صعد الى البرج ثمانية عشر آخرون من شبان القرية وشيوخها لم يكونوا مختلين العقل ، بل على العكس كانوا على غاية من الفصاحة . وكانوا قد رأوا السفين رؤية واضحة تماما ، وكان بامكانهم أن يخبروك كم عدد مصابيحه المضاءة ، والى اين كان اتجاهه .

مرت شهور العبودية ومن بعدها مرت سنوات . وبقيت الجزيرة منسية من الجنود الأجانب ، بل ومن سائر البشر . ولم يكف جرس البرج عن الرنين فى ليالى الشتاء والصيف ، فى ليالى الربيع والخريف . كان السفين يظهر لأهل الجزيرة فرادى فاذا تجمعوا اختفى من امامهم فلا يبين ، لكنهم كانوا يعرفون انه فى يوم من الأيام أو فى ليلة من الليالى سيرونه جميعا معا . سيرون السفين ، وكانوا ينتظرون ..

عندما يهبط الليل

بيتروس خاريس



عندما يهبط الليل

فى الظلام لفهما النسيان ، وما عادا يريان الخواء من حولهما .
انتظرها عند باب المكتب . تبعته دون تردد . كانت تلك هي الساعة
التى تبدأ فيها حياة أخرى فى اثينا المكبلة بأغلال الأسر . ينادى
فى البوق بآخر الأنباء التى لم يتسن للصحف نشرها ولا للمذياع
اعلانها . يستأنف الشبـــاب ، فتية وفتيات ، عملياتهم الخطرة ،
ينتشرون فى الشوارع الكبيرة والصغيرة كى يخطوا على الحوائط
اشارة أو تهديدا ، والجندى الأجنبى ايضا كان يحمل سـلاحه
ويجوب الشوارع ذاتها ، متعقبا البشر الذين يضحون أشبـــاحا ،
والذين يلعبون به كل ليلة الاعيب لايصدقها العقل ، ويجعلونه فى
الصباح يدعك عينيه دهشة . الناس ظلال هنا ، ظلال هناك ، كلهم
مسرعو الخطا . واذا تبينت اثنين معا ، رجلا وامرأة ، او فتى
وفتاة ، فستجدهما يسيران جنبا الى جنب ، متلاصقين ، ولن تعرف
أيكون هذا حبا أم انه بسبب الحرب .

قالت الفتاة ، وهى تزداد التصاقا به :

ــ خيل لى ان الساعة متأخرة جداً . فات الوقت .

ســألها :

ــ هل تخافين ؟

ــ فى البيت ، لن ينتظرونى قبل التاسعة . رتبت الأمر ، لكن ...

وجالت ببصرها فى الخواء من حولها . لم يكن الشارع ، حتى
بالنهار ، آهلا بالمارة . كان حيا هادئا ، لايزيد ارتفاع بيوته عن ثلاثة
طوابق ، النوافذ رحيبة ، والأبواب الخارجية كبيرة تتسع لاثنين
يعبرانها معا . توقفت الفتاة كما لو كان قد نال منهـــا التعب ،
وراحت تستند الى الحائط المجاور لها . ادركتها ذراعه بسرعة .
أمسك بها ، وجذبها . أصوات جهورية ، ونباح كلاب ، أصوات
أجنبية ، وفدت من ناصية الشـــارع ، وضوء قوى راح يقترب ،
ووقع أحذية ضخمة ثقيلة غاضبة تنقض عليهما . كانا على بعـــد
خطوتين من ركن الشارع ، خطوتين حاسمتين ، تقتضيـــان قرارا
قاطعا . دفعها ، ودخل بها الشارع الآخر . ثم دفعها من جديد ،

دفعة أشد ، الى باب مفتوح . وجدا نفسيهما فى فناء صغير مظلم ، وفى اغواره تبينا سلما من ثلاث درجات ، وبابا آخر، جريا ، دقا الباب ، ونادا برجاء :

ــ افتحوا ، بالله نستحلفكم !

الحت الفتاة فى الرجاء ، كان صوتها النسائى أقل اثارة للرعب فى الليل ، على الأخص ، فى ليل مدينة مكبلة بأغلال الأسر .

انفتح الباب ، بدت امرأة نحيلة طويلة لم يكن بالامكان أن تجزم توا عما اذا كانت شابة أم عجوزا ، دلفا الى الداخل ، وقفا صامتين ، مبهورى الأنفاس ، كما لو كانا قد أمضيا ساعات فى الجرى .. لم يكن البقاء بالخارج ممكنا . سمعت الأصوات الأجنبية ووقع الأحذية الضخمة الغاضبة تفد من الشارع . مضت قدما ، ثم ما لبثت أن عادت أدراجها ، اعترمت الانصراف ومع ذلك ظلت مسموعة . كان البيت أرضيا . وترتفع نوافذه عن الصيف مسافة قامة . ارهفا السمع ، وانصتا الى كل ما كان يجرى .

تبادلا النظرات ، ثم تلاقت عيون ثلاثتهم . لم ينبسوا بكلمة . خلع الشاب قبعته ، وخطا خطوة اخرى الى الداخل . كان عليهم ان يتحاشوا التأخير . خلع معطفه ايضا ، وعلقه ، واخذ معطف الفتاة ، واوما اليهما أن يجلسا . كان من الضرورى أن يبدوا أصدقاء ، كان يجب أن يصبحوا أصدقاء .

كانت الأصوات الأجنبية لاتزال خارج البيت ، فى الليلة الشتائية ، التى وان لم تكن قارسة البرد أو عاصفة الريح ، الا أن أولئك الأغراب جعلوا منها ليلة ضارية . تحت جنح ظلامها ، ظلام الحرب الدامس . وكان مما يزيد من ضراوتها ذلك الغضب البادى منهم ، وتلك الأصابع الأربعة أو الخمسة ، كل منها متأهب على زناد بندقية . وقد كانوا ينتشرون ويفتشون ، يمضون قدما ، ثم يعودون أدراجهم من جديد فى اثر الكلب الذى كان قد اشتم شيئا ، فأخذ يغدو ويروح ، يقفز الى الأمام قفزة والى الخلف قفزتين .

قال الشاب متوسلا :

ــ كوتشينة ، بسرعة ، كوتشينة .

وتصرف كما لو كان البيت بيته . وضع مقاعد حول منضدة كانت فى وسط الغرفة . اخلى المنضدة مما عليها ، وأجلس الفتاة قبالته ، وعندما أحضرت الكوتشينة ، شرع يوزع أوراقها حتى قبل أن تستقر ربة البيت فى جلستها . لم يكن من الصعب أن يفهموا .

كان من المفترض انهم بدأوا اللعب منـــــذ وقت طويل . أن يكون للبعض مكاسبه وللبعض الآخر خســـائره ، أن يكونوا منكبين على أوراقهم ، فلا يسمعون شيئا ، ولا حتى الصيـــاح والتهديد الذى يملأ ظلام الشارع . فاذا دفعت الاحذية الثقيلة الغاضبة البـــاب الخارجى ومن بعده الباب الداخلى ، وانقضت على البيت فى هجمة اســـتطلاعية ، فقد لايثور الشك وتعود من حيث أتت ، اذا لم تجد سوى جلسة ودية مقضاة فى لعب الورق .

مضوا يلعبون ، ولا يتفوهون بكلمة ، يلقون أوراقا متبعين نظـام لعبة يعرفها الثلاثة ، ويجهلها الثلاثة ، ولم يرتكب احدهم خطـأ واحدا ، أو يأتى هنة واحدة ، كما لو كانوا يرجون نفعا كبيرا من لعبهم . ومع ذلك ، فقد كان لايزال خطر انفضاح سرهم قائما . بماذا يلعبـــــون ؟ أين النقود ؟ أين الفيشـــــات ؟ لم يكن بالبيت سوى هذه الـكوتشينة ، ولم تكن من الصنف الذى يلعب به القمار ، كانت من الصنف المزوق القديم ، استهلكت وعلا أوراقها الاصفرار . ولا شىء غير ذلك .

طلب الشـــــــاب :

ـ قليل من حبات الفاصوليا ، أو اللوبيا ، أو أى شىء عندكم .

جلبت سيدة البيت طبقا ضحلا به حبات من الفول الجاف ، وبدأوا اللعب من جديد . اقتسموا حبات الفول . وضع كل منهم ثلاث أو أربع حبات وسط المنضدة . صار الجو أكثر أمانا ، لـكن اللعب لم يدم طويلا . هدأ الشارع ، وسمعت الأصوات بعد قليل من بعيد . ومضى الليل فى طريقه قدما بخطا صامتة . كانوا قد نجوا .

نهض الشاب من مقعده . كان عليه أن يقدم ايضاحا :

ـ يورغوس رئيسيس طالب بكلية الطب .

وهم أن يعرفها بالفتاة . لـكن حنكة سيدة البيت التى صارت بادية الآن بجلاء أكبر فى تجاعيد وجهها ، منعته عن ذلك .

ـ خل عنك . انى أفهم . تعطلت عن الأوبة الى بيتها .

ـ ربما لا تفهمين ، وربما لا تتصورين ، ما الذى حدث لنا على وجه الدقة .

كان الثلاثة قد هدأوا الآن . وكانوا أشبه بممثلين فرغوا من اداء مشهد صامت صعب .

اردف الشـــاب يقول :

ـ نزهة يسيرة ، كدنا ندفع ثمنها غاليا جدا . كان التعب قد

نال من هيلينى ، فهمت أن تستند الى الحائط عند ناصية الشارع، ظنوا اننا من اولئك الذين تكتب على الجدران ، فطاردونا . من حسن الحظ انهم لم يطلقوا النار علينا توا .
نظرت الفتاة الى ساعتها :
ـ العاشرة الا ربعا . بامكاننا أن نعود الى البيت قبل حلول ميعاد حظر التجول .
ينتهى التجول فى الحادية عشرة . لازال امامهما وقت . ولكن من كان متأكدا أن الخروج آمن ، ومن الذى يمكن أن يقول ان الكلب الذى اشتم شيئا لا يحوم حول البيت منتظرا ؟
كان الشاب قد استرد هدوءه كله ، وتذكر ان عليه أن يبدو سيدا ، قال :
ـ فلنشكر السيدة أولا ، وبعد ذلك سوف نرى .
وقالت هيلينى :
ـ حقا ، سامحينا . دخلنا بيتك على نحو جد مفاجىء ، مثل لصوص ، مثل قتلة مطاردين .
ـ اجلسا من فضلكما ، ساحضر لكما كوبا من الماء ، كى تستردا انفاسكما ...
القت هيلينى بنفسها على أريكة لم يكن يبدو عليها قوة الاحتمال. ظل يورغوس واقفا . جاس فى أرجاء المكان بخطوات صغيرة ، ملقيا نظرات سريعة فى كل الانحاء ، محاولا أن يتبين اى بيت هذا الذى وجدا فيه ملاذا . راى غرفتين يتألف منهما البيت فضلا عن المطبخ . غرفة الجلوس ، حيث اديا منذ هنيهة مشهدهم التمثيلى، والى جوارها غرفة للنوم ، لم يكن يبدو منها الكثير بسبب بابها الموارب . لم يكن المكان ينم عن فقر ولا عن ثراء . اثاث قديم ، منهك ، ربما كان منذ عدة سنوات مضت جهاز صبية على أهبة الزواج ، تعد ما سوف يكون اثاث بيتها المرتقب ، وتنتظر عريسا لم يأت ، وسعادة لم تتحقق . منضدة ، وبضعة كراس ، ومقعد كبير وأريكة صغيرة . وصورتان على الحائطين المواجهين يبين منهما على وجه التحديد العهد الذى يرجع اليه البيت وينتمى له أهله. كانتا صورتين للأب والأم فى ذروة حياتهما . رجل مسن ذو ياقة منشاة وشارب ضخم ، وسيدة ذات شعر ابيض غارقة فى ثوب مرتفع العنق . شخصان من جيل الحرب البلقانية ، تسود السكينة وجهيهما ، وتبدو الثقة فى نظراتهما ، وتغلف هيئتيهما تلك البساطة

التي يبعثها في النفس دوام الثراء واطراد النعمة .
لم يتسن ليورغوس ان يرى أكثــر من ذلك . لـكنه لمح توا البساطة ذاتها في حركات سيدة البيت وخطواتها ، وقد عادت تحمل بين يديها صينية ، وقدمت لهما لوزا ومستكة وماء .
هرع يورغوس لمساعدتها قائلا :
ــ ضعيهاهنا ، من فضلك .
وأخلى لها جانبا من المنضدة التي كانت لاتزال مغطــاة بورق اللعب .
اقتربت هيليني بدورها ، اكلا لوزا ومستكة وشربا ماء ، ولكنهما لم يجدا من الوقت فسحة لعبرا عن امتنانهما . عادت الأصــوات الى الشارع ، وعادت الأحذية الثقيلة ، ومن جديد علا النباح . في هذه المرة ، زاد عدد الأحذية الثقيلة ، وزاد غضبها اشتدادا ، كما سمعت خطوات اناس يجرون ، ثم ثلاث أوأربع طلقات رصاص.
تبادل ثلاثتهم نظرات خائفة . خطا الشاب نحو النافذة ، ومد يده ليزيح الستار .
منعته سيــدة البيت قائلة :
ــ بالله ، لا تفعل ذلك !
ظلوا واقفين متسمرين في أماكنهم ، وكلهم آذان صاغية . ترى ما الذى حدث ؟ من الذين يطاردون ؟ خلا الشارع من الأصــوات مرة اخرى . لـكن ما من أحد أطل من بابه أو من نافذته يسأل، ويستوضح ، كما لو لم يكن قد حدث شيء ، كما لو لم يكونوا قد سمعوا شيئا ، ولا حتى صرخة أطلقت .
عندما انقضت موجة الرعب هذه بدورها ، نظرت الفتــاة الى ساعتها ، وسألت بعينين واسعتين ملؤهما الهلع :
ــ والآن ؟ ...
كانت الساعة الحادية عشرة الا ربعا .
ــ كيف سأعود الى البيت ؟ كيف .. آه ، يا إلهى ، أمي ستجن..
فقدت هدوءها ، راحت تجول في خطوات مضطربة ، تمضى الى باب الخروج ، تقف ، تتنحى عنه . مدت يدها الى ذراع يورغوس، نظرت الى ســاعته ، زادت يأسا :
ــ الا عشرا !
لم ينبس الشاب بنت شفة . بعد قليل اتخذ قراره ، كي يضع حدا لقلق هيليني ، سأل :

ـ الا يوجد تليفون قريبا من هنا ، بالطابق العلوى ، او ببيت مجاور ؟

زادت الاجابة من حالة اليـــأس ، ولـكنها عجلت من القرار . صوب الشاب نظراته الى عينى سيدة البيت ، كان يستعطفها دون أن يقول كلمة ، دون اصرار ، راح يتطلع اليها وينتظر . اما هيلينى فـكانت على وشك الانهيار . لملمت ما كانت قد تركته من حاجياتها على المقعـــد وصـاحت :

ـ ســأدرك الميعـاد !

امسكت بها سيـــدة البيت :

ـ لم يعد بامكانك الانصراف . اجلسى . اهدئى . ستقضـيان الليــلة هنـــا .

بسطت ذراعها على كتف الفتـــاة ، وربتت عليها كما لو كانت اما ، او أختا أكبر . ودون أن يكون صوتها صوت امراة عجوز ، افعم بنبرة نصح وحنـــــــــان .

تابع الشاب الحديث ، لم يكن يعرف ماذا يقول . لم يكن يجرؤ . كان قد استبقاها طويلا فى نزهة هذه الأمسية ، فاحس شـعورا بالذنب يعذبه .

وقد صـــوت مصدرا حكما نهائيا . ساعة حائط بالدور العلوى تدق معلنة الوقت ، دقة بعد دقة ، بوضوح ، وحزم . الحاديةعشرة . اغلقت الأبواب كلها ، عاد الجميع الى بيوتهم . وخلت المدينـــة ، شوارعها ، ميادينها ، محالها ، محطاتها ، كلها أضحت من الناس خالية .

احتاج الأمر ان يفوت وقت طويل كى تدرك هيلينى انها حبيسة البيت المجهول . كان عليها أن تصبر ، صبرا كثيرا طوال ساعات قليلة ، عندما يأتى الصباح ، فى السادسة ، سوف يفتح الباب ، سوف تجرى الى بيتها ، وتلقى بنفسها فى أحضان أمها ، لن يوجه اليها احد ادنى لائمة ، سوف يسرون لعودتها الى جوارهم . ولن تخبرهم بسائر الأمور الأخرى الا بعد أن تبعدها الأم عن حضنها ، وتكفكف الدموع . ولـكن ترى هل ستحتمل الأم غيابها حتى الصباح ؟ لابد ان النواح قد بدأ فى بيتها منذ التاسعة ، أو التاسعة والنصف ، أو العاشرة . فـكيف ستطول المعاناة حتى السادسة صباحا ؟.. هل سيحتمل القلب العجوز ؟ ستقضى الأم ساعات تذرف دموعا وتطلق آهات ، ستمضى الليلة كلها فى نحيب ونواح .

قالت لها سيـــدة البيت :
ــ تعالي الآن ، لتصلحي من هندامك .
واصطحبتها الى الغرفة المجاورة .
راح يورغوس يجوب غرفة الجلوس الصغيرة . كان يرى خطاه ويفكر في اهل بيته أيضا ، لـكن عقله كان يعود الى مسئوليته عن هيليني ، فلم يكن يسمع تنهدات امه هو ، بعد قليل صفا ذهنه. في النهاية ، آخرون يلقون متاعب اسوأ بكثير في هذه الاونة ، بل وآخرون يفقدون حياتهم ايضا . انها ليلة واحدة وستنقضي .
اجل ، ستنقضي . ولـكن كيف ستنقضي ؟ بالبيت غرفتان ، وهم ثلاثة . وليس هناك سوى سرير واحد . ومن ثم ، مع من سيقضي الليلة ؟ سيدة البيت ، هل هي متزوجة ، ارملة ، مطلقة ، آنسة ؟ حاول أن يستنتج حالتها . كانت فارعة الطول نحيلة . بشعر راسها خصلات سوداء قليلة ، وتكسو وجهها تجاعيد كثيرة . في لحظات المعاناة حدق في عينيها . اجل ، أجل ، هاتان العينان ، زرقاوان ، متعبتان ، مثقلتان . ربما كانت هاتان العينـــان جميلتـــين في وقت من الأوقات . لـكن انفها كان الآن ، ومنذ عشر ســنوات وعشرين سنة . وخمسين سنة ــ أنفها كان ضخما ، وواسعا كان أيضا فمها دون شفتين تقريبا. يحد الفم خطان باهتا الحمرة ، وما كان بالامكان اعتباره ثغرا نسائيا دافئا. جمع كل هذه التفاصيل ، والف بينهما سريعا . وضعها امامه كما يلتقط المصـــــــور الخطوط الأولى بورتريه ، وانتابه الخوف . ترى ، هل هي على ماخطر بباله ؟ لم يجرؤ أن ينطق بالكلمة ، لم يكن بقادر أن يقصي عنه الفكرة . أواه ، يا الهي! اين قدر لهما أن يقعا ! وكيف سيقضيان ليلتهما هناك ، في صحبتها ، بالقرب من هذه المرأة
عادت هيليني وحدها ، كانت اكثر هدوءا ، وبدا في عينيها أن لديها ما تريد أن تـكشف عن سره . عاجلها يورغوس قائلا :
ــ فهمت .
ــ ماذا فهمت ؟
ــ انها عانس .
ــ اجل ، مسكينة . لـكن كيف عرفت ذلك ؟
ظلت عانسا ، تعيش على معاشها من والدها ، ولا تخطو خطوة خارج البيت . ولابد انها كابدت شدة الحرمان كثيرا ، كي تقرر ايواء رجل ليلة باكملها تحت ســـقف بيتها . ولـكن كانت هناك

الفتاة ، مما كان يجعل القرار اشد صعوبة . كيف ستقضي الفتاة ليلتها ؟ معها ، أم معه ؟ فيغرفة نومها ام في غرفة الجلوس؟ ولكن كيف يمكن ايضا ان يمضي عاشقان شابان في غرفة جلوسها الليلة بطولها ، الليلة بساعاتها كلها ؟

عندما ظهرت عند الباب محملة ، كانت مستغرقة في التفكير . عاونتها هيليني في بسط غطاء المنضدة ، وفي وضع صحاف وملاعق لثلاثة اشخاص ، ليتناولوا عشاء خفيفا .

قالت متحرجة :

ــ هــذا هو الموجود .

قليل من العيش . وصحنان من البقول ، وسمكة مقددة . ولا شيء غير ذلك . اقتسموا الطعام ، واقتسموا ايضا الصمت الذي خيم عليهم ، الصمت الذي تجلبه الأفكار الدائرة بخلدهم ذاتها ، والشكوك ذاتها ايضا .

فرغوا من العشاء سريعا . ونهضوا من المــائدة .

لم يكن يورغوس بقادر ان يواصل الصمت . اراد ان يقول شيئا :

ــ ضايقناك كثيرا .

اجابت سيــدة البيت بصــوت جاف :

ــ اوه ، لا شيء . بشر نحن ...

ثم عاود يورغوس السؤال بعد قليل بلهجة تنضح بالاحترام ، بالاحترام الذي نظهره لمن هم اكبر منا ، للمسنين :

ــ هل استطيع ان ادخن ؟

جرحها هــذا السؤال في اعماقها . نظرت الى عينيه طويلا ، بصرامة قد تكون انعكاسات لألم غير محتمل . افصحت له عن فهمها انه يتحدث الآن الى عانس .

قالت له بصــوت خافت :

ــ تستطيــع ...

منذ تلك اللحظة اضحت الليلة اشد صعوبة . البيت اقتسموه كما ارتأت صاحبته . قالت لهما تحية المساء ، ودخلت غرفة نومها. اغلقت الباب . لكنها لم توصده . ادركت انه ليس بامكانها ان تفرق بينهما ، فتركتهما في غرفة الجلوس ، بايماءة ذات مغــزى حصيفة . وضعت وسادة وغطاء على الأريكة ، ووضعت وســادة اخرى وغطاء آخر على المقعد الكبير . لم يكن في متنــاولها أن تفعل غير ذلك .

وبدأت في غرفة الجلوس الصغيرة الساعات التي بدلا من أن يسودها الصمت . أضحت أغنية حب ، بدأ الليل الآخر الذي نسي العبودية ، ومعاناة البيتين اللذين ينوح أهلهما الآن ، والمرأة التي لم تعرف الحب ولكنها تسمعه على مقربة منها ، يهمس ، ويتنهد ولا يعمل حسابا للخطر والرعب والموت .

رأى الشابان الوسادتين والغطائين ، ولكن لم يكن بامكانهما ان يحترما الايماءة الحصيفة . رقدا على الأريكة وبقيا متلاصقين . بعد ساعة ونصف فحسب ، سألت هيليني :

ـ هل تعتقد انها تسمعنا ؟

وحاولت هيليني أن تصيخ السمع في السكون لكل جلبة ، ولكل حركة . حاولت كثيرا أن تسمع شيئا .. ثم همست تقول من جديد :

ـ ربما سمعتنا .

وافقها يورغوس قائلا :

ـ ربما ...

لكنه لم يرخ ذراعيه عن هيليني ، ولم يتركها تخرج من حضنه. بعد قليل ، عادت هيليني تقلق :

ـ ليس هذا لائقا .

همس يورغوس بدوره قائلا :

ـ ليس لائقا .

ولكنهما لم يحركا ساكنا . لم يبديا ندما . بقيا هناك ، بقيا معا ، حتى سمعت من الطابق العلوي ، الساعة تدق ست دقات. وعلى مقربة منهما ، امرأة تسمع أغنية حبهما ، ويستعر جسدها. تسمع ، وتدفن رأسها تحت الأغطية ، تسمع ولا تريد للأغنية أن تنتهي ، تسمع وربما كانت تبكي ...

في الخارج ، أخذ النهار يشرق . ولكن احتياطات الاظلام المفروضة لم تكن تترك الضوء يدخل .

نهضا . رتبا الأريكة ، أحدثا في غطاء المقعد مايوحي باستعمالها . شرعا يتجاذبان أطراف الحديث ، ويتجولان في أرجاء الغرفة .

لم تتأخر سيدة البيت عن الظهور . وجدتهما يتعجلان الانصراف لم تشأ أن تعوقهما . خجلت أن ترفع نظراتها الى عيونهما . رجتهما فحسب الا ينصرفا معا .

ـ اغسلا وجهيكما ، ثم فليخرج أحدكما وحده أولا ثم فليليه

الثانى بعد قليل . لا تعرفان ما اذا كان ثمة من يراقب المكان فى الخارج .

لم تكن تقول الصدق . يعرف الجيران انها تمضى لياليها وحيدة ، ولذلك ما كانت تريدهم أن يروا الشابين يخرجان معا من عندها .

انصرف يورغوس أولا . شكر سيدة البيت بحرارة ، لكنه لم يستطع بدوره أن ينظر طويلا الى عينيها .

قال لهيلينى :

ــ سأنتظرك عند اول محطة .

وعندما انصرفت هيلينى بدورها بعد قليل ، عانقت سيدة البيت ، وقبلتها ، قائلة دون أن تتبين الجرح الذى تشقه :

ــ لن انسى ابدا هذه الغرفة ، ولا هذه الليلة ...

فى الخارج ، بدأ النهار بهدوء ونظام ، مثل كل أيام العبودية ، التى لم تكن تبين شيئا من كل ما كان يحدث بالليل ، تحت جنح الظلام ، من مطاردات وحشية للبشر . وعندما وصلت هيلينى الى يورغوس كان يمر أول ترام صباحى . بقفزة واحدة ركباه ، وجدا نفسيهما على الأرض ، فى الدنيا .

قال لها يورغوس :

ــ يا لهول ماجرى لنا !

وانفجر فى الضحك .

قالت هيلينى بدورها :

ــ صدقت ، يا لهول ماجرى لنا !

ولكنها بدت حزينة ، حزينة جدا .

وبعد هنيهة ، همهمت بحزن أشد :

ــ لم تخبرناحتى عن اسمها ..

رسالة من غريق

فاسيلي روتاس

رسالة من غريق

نزل الاله الى الأرض ، اله البحر . هيج البحر، وبث الرعب فى البلاد ليل نهار . انفكت الرياح من عقالها ، ومضت تطارد السفن والناس والدواب . تقتلع الشجر ، وتتوغل داخل البيـــوت مزمجرة . ثم أخذت سحب الشمال السوداء تتبدد . ولم تعد الأمواج تتلاطم وتولول الا عندما يبسط الليل جناحيه مثل طائر النورس .

وقد وجد أول الناس الذين خرجوا الى الشاطىء فى الفجر الغريق ملقى بين الأغصان والطحالب . كانت الأمواج قد تقيأته ، ولا زالت تتجشأ وتلفظ رغوة بيضاء . كان الغريق يرقد غائبـا عن الوعى يحتضن النفايات من تحته وقد تحلل جسـده وتشوه من فرط ما لقيه من أهوال .

ان غريقا على الشاطىء عند قرية صغيرة يثير بين الناس اضطرابا كبيرا ، فسرعان ما يعلم الجميع بالنبأ ، فيلتفون حول الجثة يحدوهم الفضول ، ويخيم عليهم الحزن واحساس بالمشاركة فى المصاب . كان الغريق رجلا فى منتصف العمر لكن أمواج البحر كانت قد تقاذفته طويلا ، والقت به خارجا بعد أن افسدت هيئته ، فلم يعد من السهل تبين شخصيته ، وشطح خيال القرويين بعيدا للتعرف على شكل الغريق وعمره وعلاقاته الاجتماعية .

ولما كان الحزن معششا فى القلوب ــ كل أصابه دمار أو جوع بسبب الحرب التى لم تترك بيتا لم تشعل النار فى أعماقه ، بل مضت تهدد بكوارث افظع ــ لما كان الحزن معششا فى القلوب ، فقد رأت عيون الحاضرين من خلال خيالاتها السوداء الجثة المجهولة التى استقرت عليها الأنظار ــ راتها بين الطحالب منتفخة مفككة الأوصال ، لا تحكم لها على حركاتها مثل سكير عربيد بلا حياء ــ راتها كما لو كانت تلعن الحياة ، وتصب أيضا غضبها على السماء ناصعة الزرقة التى احتضنتها شمس ابريل الوضاءة تطليها بالذهب البراق ــ راتها تسب البحر الذى تهاوى على الشاطىء متهالكا مغشيا عليه ، والنسمات النازلة من القمم الصخرية والسفوح

الخضراء معطرة بأريج السعتر والبنفسج البرى ، وتسب ايضـــا الطيور المغردة فى الفضاء الرائق ، والنـــاس الذين يتفرسون فيه بوجوههم المنكبة عليه وعيونهم القلقة الخائفة من حوله .

وفى النهاية جاء الحارس. افسح له الجميع الطريق فمضى متقدما. تفحص الجثة بنظرات حذرة أول الأمر ، من الرأس المنكفئـــة الى الساقين الرخوتين . ثم أمر أن يقلبوها على جانبها الآخر ، فبدت سترة الغريق تشبه رداء عسكريا .

قال الحارس : « كان جنديا ، اذن . »

تنهـــد الرجال ، أما النسوة الواقفـــات من خلفهم فقـــد ندت منهن زفرات حارة .

أصدر الحارس أمره من جديد : « فتشوا جيوبه » .

شرع القرويان اللذان جرءا على أن يمدا أيديهم الى الغريق ـ شرعا يفكان أزراره ويدسان أيديهما فى جيوبه ، ويخرجان منهـــا اشياء يناولانها للحارس .

قال أحدهما ، وهو يفك ساعة من معصم الغريق : «هاهى ساعته»

عاودت النســوة النحيب ، لـكن الرجال والصبيان ضحكوا لأن ذلك الذى فك الساعة ـ قبل أن يدسها فى يد الحارس الممدودة ـ وضعها على اذنه ليرى ما اذا كانت لا تزال تعمل .

سال احد القرويين محب للمزاح : « كم الوقت حتى نضـــبط ساعاتنا ؟ »

ولقيت مزحته فى النفوس صدى ، فضج الحاضرون بالضحك . لـكن الـكآبة ما لبثت أن عادت تسيطر خانقة الضحك فى الحلوق، كما خنق البحر الرجل المسجى على الأرض وخلفه غير قادر أن يمنع أيدى القرويين الخشنة من أن تمتد الى جيوبه .

وسرعان ما امتلأت راحتا الحارس بالأشياء ، الســـاعة ، ثم مطواة ، ومنديل ، وورقة مطوية ، وقلم ، ومشط ، وحافظـــة منتفخة مثل صاحبها ، تهرأت ثنياتها ، ولاحت منها مابداخلها من أوراق ونقود ، واخيرا لفافة من الخطابات .

وضع الحارس هذه الاشياء فى جعبة فارغة معلقة الى جنبه ، واستبقى الأوراق وحدها حتى يفحصها ، بحثا عن بطاقة الغريق. ثم قلب الخطابات المبتلة وقرأ فيها بصوت عال : «عزيزتى هيلينيتسا»

هاد صاحب النكات يقول صائحا : « خطاب الى حبيبته ! »

وضحك الصبيان .

فض الحارس رســالة أخرى ، وقرأ من جــديد : « عزيزتى هيلينيتســا .. »
ثم انتقل الى رسالة ثالثة ورابعة فكانت كلها تبدأ : « بعزيزتى هيلينيتسا .. »
إبتدره البعض قائلا : « اقرأ ما هو مكتوب بعد ذلك ... »
امسك الحارس بالخطاب الأخير ليقرأه ، وقد استبد الفضول به كما استبد بالجميع. كان كل من الحاضرين قد رسم لنفسه فى خضم هذا الغموض المحوط باسم هيلينيتسا صورة متميزة لها. تصورها البعض عشيقة ، وتصورها البعض زوجة شرعية ، تصورها البعض ضخمة بدينة وتصورها البعض صغيرة نحيلة . كلّ منهم تصورها من خلال مزاجه الخاص وتجربته الخاصة .
قرأ الحارس حتى آخر كلمة وبصوت عال الخطاب التالى :
«عزيزتى هيلينيتسا ، كتبت اليك خطابات عديدة ، يابنيتى ، كل يوم أكتب اليك دون أن أرسل شيئا مما كتبت . لم يتسن لى ذلك وقد فقدت كل أمل فى ارسالها اليك الآن لأننى وقعت فى الأسر . ولـكن هانذا أعاود الـكتابة اليك رغم ذلك ، وعلى آخر ورقــة معى ، فربما وجدت فرصة ما. وضعونا الآن على سفينة ستحملنا الى بلادهم . هكذا يقول كثيرون ، لـكن ما من أحد يعرف الى اين نبحر على وجه اليقين. تأتى الطائرات تباعا. تحلق فوقنا ، وتمطرنا وابلا من قذائفها . قلوبنا مضطربة على الدوام ، فبين لحظة وأخرى سيبتلعنا اليم ونغرق ، اننا نرى اليابســـــة تبتعد رويدا رويدا وتختفى من أمام عيوننا . ابنتى هيلينيتسا فكرى معك ، وقد تركت فى البيت وحدك ، ترعين كأم اخوتك ولازلت صغيرة . منذ اليوم الذى تلقيت خطابك المرير الذى ابلغتنى فيه وفاة أمك ، أصبحت أفكر فيك ليل نهار وأبكى . كنا قد عدنا توا من المعركة ، وكنت لا أزال حيا ولم يمسنى سوء . كنت آكل لقمنى راضيا عنــدما جاء ، يا ابنتى ، خطابك ينعى الى النبأ الأسود الذى جرحنى ، وأدمى فؤادى . فضلت أن يكون الموت قد اختطفنى أنا — مثلما اختطف الـكثيرين من رفاقنا وابناء بلدتنا — بدلا من أن يختطف امك . تمنيت أن يكون الموت من نصيبى انا ، فقد كانت لازمة لك ولأخوتك الذين لازالوا صغارا . لعمرى كيف سيعيشون من بعدها. كتبت لى ، يا ابنتى ، أن أشد عزمى فانفطر قلبى ، لأنك تطلبين منى — انت الفتاة الصغيرة العزلاء — ان أتشجع وأتعزى . أى

بنيتي ارعى اخـــوتك ، وكوني لهم اما رءوما . لا تمدى يدك مستجدية الى احد على حدة ، بل اطلبى العون من القرية جماعة. لاتثقي يابنيتي بالقسيس ولا بالعمدة ، ولا تركني الى احد منهما منفردا طالبة النجدة ، بل عليك أن تقفى يا ابنتى وسط الجميع فى الـكنيسة واصرخى بالملك .. اجمعى اخوتك الصغار كلهم من حولك ، وصيحوا جميعا قائلين : يا أهل البلد ، ماتت امنا ، وأبونا حمل سلاحه ومضى الى ساحة القتال . نحن خمسة من الايتـام . على القرية أن ترعانا ، فنحن منها ، وها نحن بينكم . لا اجد فى غمرة ياسي سواك يابنيتى ، يا من اثبت انك ناضجة العقل رحيمة القلب ، انت الدعامة الوحيدة التى أسند اليها فؤادي ، انت النور الوحيد فى الظلمة التى تحيط بي . حاربي يا ابنتي وكافحى من اجل اخوتك . فكرى فيهم ولا تفـكرى فى نفسك . لا تتركى المسرات والأفراح تستهويك ، فتنتزعك من مسئولياتك ، ولا تشـتهى أن تتجملى وتتزينى فتعرضين عن اخوتك الذين اصبحت حياتهم بين يديك . وقع على عاتقك عبا ثقيلا ، ياعصفورتى ، ياهيلينيتســا العزيزة . على كاهلك الرقيق مسئوليات الأم والأب معا . قدرى هذه المسئوليات ، يامسكينتي واشعرى بها . اصمدى ، وسددى هذا الدين بيقين وعزم حتى تلتقى على خير . لا اريد ان اعود ، يابنيتى ، فأجدكم مشتتين ، يجللـكم العار والخجل ! اما انا فحيث أوجد هنا ليس لى من امل يشد عزمى على الجهاد سواكم . كل نبض فى وكل نفس لى يستتمد قوته منـك ، ياعصفورتى العزلاء ، يا من ستكافحين وتعانين وسط هذه الـكوارث من اجــل الخير والفلاح . وعندما سيلتئم شملنا فرحين ... »

هنا توقفت القراءة ، لأن الـكلام لم يكن له بقية . رفع الحارس بصره الى الواقفين ، فكانوا يبكون جميعا . تعالى النشيج من حلوق النساء . اما الرجال فنكسوا الرءوس كما لو كانوا يخفون خجلهم . حتى الأطفال وقفوا واجمين .

صاح احد الحاضرين : « هذا الفريق منا ، هيلينيتسا هــذه واخوتها اولادنا . يجب ان نتولى نحن رعايتهم » .

صدق الجميع على كلامه صائحين : « اجل ، اجل ، علينا أن نبحث عنهم ونجدهم ! » .

وبدأت مناقشات ومداولات بين كل أولئك الذين تجمعوا حول الفريق . علا صوت الجميع ، وأدلى كل برأى . كيف سيعثرون

على قرية الفريق وبيته ، كيف سيبعثون بأناس مخصوصين وعلى نفقة بلدتهم ، يشدون الترحال ، ويجوبون اليونان كلها اذا اقتضى الأمر ذلك ليجدوا تلك المدعوة هيلينيتسا ليمدوا لها يد العون .

وأضاف آخر : « نأخذ هؤلاء الأولاد ونحضرهم الى بلدتنا هنا ونتبناهم »

وصاح آخر : « هذه الخطابات نحافظ عليها جيدا ، لنحملها كلها الى الفتاة » .

وقال آخر : « ننشرها فى الصحف ليقرأها كل الناس ... »

وهكذا بانفعال وتأثر وحماس عام لتنفيذ وصايا الرجل الغريق ؛ أمضى أهل القرية يومهم ذاك ، لكن لم يعرف ماذا فعلوا ، كيف انتهت هذه الحكاية ، ما اذا كانت هذه القرية قد وضعت موضع التنفيذ اندفاعها الأول الذى أثارته فيها رسالة الغريق ، أم أن جثمانه وخطاباته اختطت طريقها الطبيعى ، هو الى جانب قصى من الجبانة ، وهى فى أحد الأركان المنزوية بدولاب فى مكتب التحقيق. كثيرة هى انشغالات الحياة ولهفاتها حتى انه لا يكاد يقع حدث حتى تتراكم عنيه أحداث أخرى تطمره ، مثل أمواج البحر التى لا تكاد تلوح موجة حتى تلحق بها ثانية وثالثة ، وتغمر كل منها الأخرى ، ويكون الشىء الوحيد الذى يبقى مستبدا بالحواس هو الرهبة من هدير الأعماق .

امـرأة على الـهامش

صوفيا مافرويذى بابازاكى



امرأة على الهامش

فوجئت بثوبها الابيض وعينيها الفرحتين . كانت قد فقدت اخويها وأباها . هدم الموت بيتها ولكنها كانت تعرف كيف تبتسم هذه الابتسامة الوضيئة !

جسم رشيق ، شعر اسود مبسوط ، عينان تسبحان في النور. لم يكن جمالها متفردا لكن وجهها كان روحًا كله . طلبت أن أتعرف بها . كنت أريد أن أرى كيف تبدو فتاة في الثامنة عشرة من عمرها فقدت كل شيء ولم تثبط همتها . كنت اخشى على الدوام اولئك الذين يعطون المعركة شهداء من ذويهم . يهب المرء حياته عن طيب خاطر . فليس الموت ـ اذا عرف الشهيد لماذا يموت ـ سوى غيبوبة يروح فيها كما لو كان قد شرب خمرا وسكر . لكن ماذا يكون الأمر اذا اقتضى أن تفقد أولئك الذين تحب ، الأب ، الزوج ، الأخ ، الابن ؟ أليس مخيفا أن تدفع الثمن كاملا، وان تضطر الى أن تفكر في انه يجب أن تنتقد ما بقى لك ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فما العمل طالما ان الكفاح والموت يمضيان متشابكي الأيدى ؟

لكن ايلى التى تشع شبابا وحيوية وهى تجلس امامى ، قد اعطت كل شيء ، ولازالت تومض في نظرتها اللهفة الى العطاء . سألتها :

ـ كيف حال والدتك ، الآن ؟

ـ يرى الأطباء انها اذا اتبعت العلاج اللازم ، يمكن أن تنجو .

ـ واحوالكما المالية ؟ لديكما نقود ؟ ثمة اصدقاء يساعدونكما؟

ـ كان والدى ، كما تعرفين ، مديرا لبنك ، وترك لنا معاشا صغيرا . لكنه لايكفينا. أما عن الأصدقاء فكان لنا منهم الكثيرون. كانوا يدعون أبى وامى لقضاء السهرة ولعب الورق ، وكانوا يزوروننا . ولكن كان كل هذا قبل حركة المقاومة . اما الآن فهم يتنكروننا ويتجاهلون حتى انهم يعرفوننا . يخشون أن يتعرضوا للمتاعب. لم يأتوا حتى الى الجناز. نحن ، كما ترين ، مشاغبون. ارتكبنا الجرم الكبير بانحيازنا الى الشعب . تقول أمى : « لايهم ذلك . ليس بيننا وبين هؤلاء الناس أوجه شبه تربطنا » وهذا

افضل حقا . تصورى كم كان سيصبح الأمر رهيبا وثقيلا على ان اقابل فى تلك الايام أناسا من محبى السهرات والحفلات !

كنت اتوق الى ان اعرف عن « تلك الايام » على انني تحرجت السؤال . لم أكن أريد أن اعكر صفو تلك النظرة الوضيئة . لكن الذكريات ما لبثت أن بدات ترفرف حولنا ، مشتعلة فى وجه الفتاة قناديل مثل ورود حمراء ، وانفرجت الشفتان وباحت بالذكريات .

كانت تتكلم ببساطة ، وخلا صوتها من نبرة المأساة . كما لوكانت تروى قصة قراتها فى مكان ما . ولـكن عندما جاءت اللحظة التى تصور لى فيها أخويها ، تذبذب صوتها بنغمات عذبة .

« كان فانيس فتانا الاكبر رزينا قليل الكلام . يفكر فى الكثير ولا ينبس بكلمة . انخرط مبكرا فى الجهاد من اجل الحرية . لكننا لم نعرف قط الدرب الذى اختطه لنفسه . كان يدخل البيت على عجل . يأكل لقمة ، وينصرف من حيث أتى . هادئا صامتا . ومع ذلك كنت تلمحين وراء النظرة الساكنة الشرارة القلقة التى كانت تعتمل فى الأعماق . كان يسدل على وجهه ستار الصمت ليخفى عن اخته وامه ما كانت تعده لـكل ليلة طبيعته المتقدة . كلمات سر ، نشرات ، مخابىء ، هجمات ، اسلحة . كل هذا كنت تقرئينه فى وجهه الهادىء ، اذا كنت قد تعلمت قراءته طوال أربع سنوات .

اما بافلوس فكان من نوع آخر تماما . كان يتكلم عن كل شىء . لم يكن بقادر أن يكتم شيئا . كان وجهـــه الأشقر يتاجج احمرارا فتشعرين انه يحيا مقدما اللحظات التى كان يخطط لها : « الليلة سأتكلم بالألمانية فى مكبرالصوت. من عشرة أمتار خارج المعسكر . الىجنود الماني. الثانية عشرة الا ربعا . هكذا تقول الساعة. ازف الوقت . كيف تجلسان هنا وبلدكما يتردى فى النيران ؟ »

كان الشحوب يعلو وجه أمنا ، دون أن تفتح فمها بكلمة واحدة. على انها كانت تهرول بعد قليل فى أعقابه . وعندما كان يتكلم فى المـكبر كانت تقف هناك بالقرب منه عند مفرق الطريق . لايفصلها عن المعسكر سوى عشرين مترا . كانت تقف هناك عزلاء بكماء تحرس المـكان ، ولم تكن تغادره الا اذا رات بافلوس يقـــذف المعســـكر بالمتفجرات ويختفى وقد انذر المـكبر . وتتسلل فى الأزقة الضيقة المجاورة راجعة الى البيت حيث تنتظر عودة ابنها .

« الم تحاول أن تمنعهما قط ؟ »

« كلا . كانت تعرف انه لم يكن ثمة جدوى من ذلك . مرة

واحدة فحسب قالت : لا تنسيا ان اباكما قد اعدم برصاص الألمان لـكن فانيس قاطعها قائلا : ومن اجل ذلك ، يا امنا العزيزة ، نحل نحن محله فى الجهاد . منذ ذلك الوقت ، لم تكلمهما فى الأمر من جديد ، الا انها صارت كلها آذانا صاغية ، لتسمع كلمة ، أو تلميحا ، تحدس منه برنامج الليلة ، فترتب خط سيرها . قال لها بافلوس ذات يوم : أتعرفين ماذا أعتقد ، يا أماه ؟ طالما انك تجهدين نفسك ، وتجرين وراءنا ، الا تأخذين معك اناء الألوان ؟ »

سـألتها :

ـ وانت ، يا ايلى ، هل كنت تعملين فى مكان ما ؟

ـ كنت اقوم ببعض الأعمال بدورى ، ولـكن على الهامش دائما. عندما أعدموا أبى بالرصاص ، قال لى فانيس : « ارعى أمنا ، يا ايلى . فربما كتب عليها أن تجرع أكوابا أخرى . لاتتركيها .. وحيدة . اننا نمضى فى الطريق الذى قدسته دماء أبى . ابقى انت الى جوارها » . وهكذا ، لم أخرج كما كنت أتوق أيضا ـ لم أخرج الى المعركة أتلقى رصاصاتها فى صدرى. كنت أساعد الفتيان، بأن أكتب كل ما احتاجوا اليه . وكان محكوما على ان أحيا معاناتى الخاصة تحت ظل البيت ، بينما كان بالامكان أن أنساها فى خضم المعاناة العامة وفى نشوة المعركة . لـكن الـكارثة جاءت ذات ليلة.. دون أن تنبىء بها أية بادرة . كنت أسمع القائلين بأن الـكوارث تأتى دون أن يتوقعها أحد ، ولم أكن أصدق ما يقال . كان اخواى قد هجعا الى فراشيهما مبكرين ، ونامت امى خالية البـال تلك الليلة . فى منتصف الليل تقريبا دق الباب . بشدة وخشونة . لم يكن الأمر يحتمل أدنى شك. كيف يمكن أن تحزمي أمرك ، وتفتحى الباب ، وأنت تعرفين ان الموت فى الانتظار وراءه ؟ ذهبت وفتحت. كانوا ثلاثة من الألمان واحد الوشاة من بنى وطننا .

قال اليونانى : نريد اخويك . أين هما ؟

قلت : نائمان . ماذا فعلا ؟ ..

لم يجيبوا على بشىء . ووجدت نفسى محاطة بفوهات البنادق ، وقد ألقوا القبض على أخوى وهما فى ثياب النوم .

قال لهما بافلوس بالألمـانيـة : « انتظروا دقيقتين حتى نرتدى سترتينا » لـكن الجاويش أوبير ذلك الكلب النازى الشرس قاطعه قائلا : « لا داعى لذلك ، أيها الفتى » وأضاف ، وهو يربت على كتف جاره ضاحكا ضحكة تنضح بالقسوة : « حيث سيذهبان ، لن

يكونا بحاجة الى ثياب . أليس كذلك ، ياهانز ؟ »
ضحكوا جميعا . وضحك معهم الخائن الذى يتكلم لغتنا .
عندئذ هبت أمنا مثل سيف ممشوق ، كما لو كانت صبية فى السادسة عشرة من عمرها ، وأمسكت بأيديهم . وتدفق الكلام من فمها الذى لم يكن ينبس بكلمة من قبل .
« لا تأخذهما منى. ليس لى فى الحياة غيرهما . قتلتم زوجى. اتركوا لى ابنى على الأقل . أليس لكم أمهات ، أنتم ؟ أليس لكم أولاد ؟ ألا تفهمون الألم ؟ لايمكن ذلك . أنتم بشر ولكم قلوب. قولوا لى انكم لن تأخذوهما . ها هو البيت كله لكم . خذوا الثياب ، الأثاث ، الكتب . خذونى أنا واتركوهما » .
وكانت تتعلق بأكتافهما ، وتتمسح بأيديهم ، وتخر على الأرض محوطة سيقانهم بذراعيها وتسد الباب بجسمها .
قال هانز : يجب أن ننتهى . خذوا معكم المراتين ايضا . لكن الجاويش أوبير قاطعه بضحكة ساخرة من جديد .
« أليس فى قلبك أدنى رحمة ، ياهانز؟ لابد أن يبقى بعدهما من يبكيهما . »
لحسن الحظ ، لم تكن أمنا تعرف لغتهم . ولكن ماذا كانت ستسمع اكثر مما حدسته ؟
قذفوا بها الى وسط الغرفة بركلة . والقوا بى فوقها .
وفى طريقهم للخروج . سمعت فانيس يقول : « ارعى أمنا ، يا ايلى » ..
فى اليوم التالى ، بعد الظهيرة ، عندما كان كل شىء قد انتهى انتابنى احساس بأن الأمر لم يكن سوى كابوس بشع . اذ كيف يمكن ان أكون قد اجتزت كل هذا ولازلت أحيا ، محتفظة بعقلى ؟
اصيبت امى تلك الليلة بنزيف مخيف ، لم يستطع الطبيب أن يوقفه الا باعطائها مخدرا . ثم راحت فى غيبوبة فلم تع شيئا مما حولها . وبذلك امكننى ان أنجز كل شىء بمفردى . فى الصباح احضروا لى اخوى غارقين فى دمائهما . كانوا قد أعدموهما رميا بالرصاص عند مفرق الطريق . غسلت جثتيهما والبستهما ثيابا بيدى ، هاتين . لم تذرف عيناى دمعة . ولم يدب الخوار الى ساقى قط ، لأننى كنت ادرك اننى لن أتلقى العون من أحد . كان يجب ان اعجل ، وان أنجز كل شىء بنظام قبل أن يجىء الليل . من المؤكد اننى لم أكن فى حالتى الطبيعية ، لأننى غير قادرة ان

افسر بعض الأمور . مثلا ، عندما كانت تجرى مراسم الجناز فى الكنيسة ، ويتلو القساوسة صلوات الموت لم اكن افهم ما صلة كل هذا باخوى . كنت اقول لنفسى لماذا لاينشدون النشيد الوطنى ؟ ما شان اخوى بكل هذه التراتيل الحزينة ؟ وفى المقبرة انفلت من ايدي اولئك الذين كانوا يمسكون بى ، ومضيت أتنقل هنا وهناك ، اجمع من الحوائط زهورا برية انثرها على وجهيهما . كنت اذكر كم كانت فرحتنا جميعا فى البيت عندما خلصنا بافلوس من التيفود فى العام الماضى . كنت أذكر ايضا فانيس فتانا الأكبر الذى كان معتل الصحة على الدوام ، وكانت أمنا دائبة الخوف عليه . كنت اذكر كل هذا واربت على وجهيهما ...

توقفت عن الكلام . شابت النظرة الوضيئة غمامة صغيرة ، ولكن من العينين لم تطفر دمعة واحدة . لم اقطع الصمت الذى خيم ، لكننى تذكرت ، وانا اراها جالسة هناك امامى بثوبها ناصع البياض، والصمود فى عينيها ــ تذكرت شكاتها : « كنت دائما على الهامش».

« عندما افاقت امى ، تكلمت بعد قليل . لم توجه الى سؤالا . ربتت على يدى فحسب ، وقالت : بقينا وحيدتين ، الآن ، يا ايلى . يجب ان نفعل شيئا نحن ايضا . هل تذكرين ما قاله فانيس ؟ اذا رحل احد ، يجب على الآخرين ان يحلوا محله . اريد ان اعمل فى سبيل الهدف الذى وهب ولداى وزوجى حياتهم من اجله ... ابحثى يا ايلى .. ابحثى لى عن عمل اعمله ...
هذا ماجعلنى احضر اليك اليوم . يجب ان تجدى عملا لأمى . وانا ايضا أريد عملا لا أستطيع ان اترك امى وحدها مريضة. ساشتغل من جديد فى البيت . لكن عندما ستأتى الحرية بعد قليل اريد الا اخجل من اننى لم اعمل من اجل مجيئها » .

أرسلتها الى « صحف المقاومة » لم ارها بعد ذلك ، بل ولم اخبرها عما أنا مدينة لها به . فلم اعد بفضلها اخشى شيئا . لم اعد احصى بقلق الشهداء الذين نهبهم كل يوم . فان الموت يمضى جنبا الى جنب مع الكفاح ، دون ان يعوقه او يثبط من قوة اندفاعه ، بل هو يزيده على العكس ، اشتعالا .

ان هذه التربة التى نعشقها ، تعيد بقوة الدماء التى تتشربها شعلة متاججة. غدا، ستلقى هذه الفتاة التى كانت تعمل حتى اليوم «على الهامش » بنفسها الى ساحة المعركة ، وستحارب بكل ما فى كيانها من شباب ملتهب . لن يضعف الموت الجموع ، وستأتى الحرية .

بستان البرتقال

فيليبو بيريذي

بستان البرتقال

ان هذه البقعة من شاطيء قبرص مكان مبارك . ارض رملية طيعة ، ماء طيب ، وانفاس البحر التي تلطف من برد الشتاء . كل ما يلزم لزراعة أشجار البرتقال . مكان تغطيه الحدائق . شريط أخضر يحوط الرمال الذهبية الممتدة في شبه دائرة حول الخليج ويندثر عند اللسان الصخرى . وفي مايو عندما تهب النسمات من الأرض ، يعبق الزهر بأريجه هواء البحر حتى مدخل الخليج على امتداد ميلين .

قد تكون زراعة البرتقال مجرد كلمة ، ولكن كيف تصبح هذه الكلمة حقيقة امر لايعرفه سوى اناس ، من أمثال بيترى ، كرسوا جهودهم العمر كله للتربة والشجر حتى لم يعد بالامكان ان تفصل بالنسبة لبستان هذه العناصر الأساسية الثلاثة بعضها عن بعض . هكذا تعهد بيترى بستانه حتى نمت وترعرعت فيه اشجار البرتقال عند الطرف القصى للشريط الأخضر على الحد الفاصل بينه وبين اللسان الصخرى .

عندما استقل عن أبيه وانصرف يعمل من اجل أن يكون له حقله هو كان متقدما في السن بعض الشيء ، فقد كان قد بلغ الثلاثين . لم يكن بمقدوره أن يختط طريقه الخاص قبل ذلك ، فقد كان عليه أن يرعى أختيه ، وقد تزوجتا في سن متأخرة . ومع ذلك لم تصدر عن بيترى شكوى قط . لم يكن ذلك طيبة فيه أو اكتراثا منه بالا يتخلى عمن في حاجة الى حمايته . كلا ، لم يكن هذا هو حقيقة الأمر . كان بيترى من أولئك القوم ذوى الجاش الرابط الذين يواصلون بثبات وعزم السير في الطريق الذى جعلته الحياة من نصيبهم ، قادرين على أن يحيوا حياتهم دون أن يقيموا وزنا لأحد ، مما يحمل الآخرين على احترامهم . سار على الدرب الذى لهجة اجداده منذ قديم ، كتوما مجدا ، وعاش نمط حياتهم لمجرد انه وعى الحياة هكذا . زوج أختيه . وزع عليهما املاك الأسرة ، وناط اليهما رعاية الأبوين الطاعنين في السن ، ثم بغير أن يلتقط انفاسه يوما واحدا رسم علامة الصليب ، وبصق في راحتيه

وشرع يضرب الأرض بفأسه حتى يزرع الشجر فى أرضه هو . غرسها . طعمها . حوطها بسور . بنى بيتا صغيرا ، وتزوج . ماذا يهم بعد ذلك انه اختط طريقه فى الثلاثين بدلا من أن يختطها فى العشرين . المسار واحد فى الحالتين ، بل والمسار الداخلى ايضا ، ذلك الالتحام بين روحه وبين هذه التربة وهذا الشجر ، الى الحد الذى لايستطيع معه أن يميز بين جهاده وجهاد الشجرة الفتية التى تكافح لكى ترسخ جذورها فى الأرض ، ولا ان يميز بين اله والم الشجرة متى أصابها الداء ، والى الحد الذى يسمع معه فى نومه صوت أشجاره وقد اشتد عودها ، ويشعر بالفرحة لانها شربت حاجتها من الماء وارتوت .

وقد قدر لتأخره فى اختطاط سبيله والاستقلال بكده ان يكون سببا لان يختلف نهج حياته المألوف من ناحية واحدة . كان بيترى قد تجاوز الخامسة والثلاثين عندما أنجبت زوجته التى ناهزت الثلاثين بدورها طفلهما الأول . كان ولدا . ولم ينجبا غيره . وقد حوط الأبوان اللذان فى منتصف العمر هذا الابن ، ارتيمى ، بعواطف لم يألفاها من قبل ، وكانا يختزنانها فى الأعماق مبهمة غير مفهومة ، لكنها غرست فى قلب الأم بذرة حب لا حدود له ، وبثت فى عقل بيترى بعض الأفكار الجديدة . وهكذا تلقى ارتيمى الابن الوحيد من امه ملاحظات غير معهودة من اقرانه ، ونال من بيترى الاذن بأن يذهب الى المدرسة الثانوية فى المدينة التى تبعد عن القرية مسيرة ساعة .

ولم تتوقف الافكار الجديدة فى عقل بيترى ، فقد انتوى أن يوفد ارتيمى ليكمل تعليمه بعد المرحلة الثانوية . لكنه لم يتناقش مع احد فى هذا الأمر ، ولا حتى مع نفسه ، فقد كان يعترف به كأنه حقيقة لا تقبل الجدل . « فلينته من المدرسة فحسب . وسنرى» هذا ماكان يقوله فى قرارته ، وقد توقفت يده عن العمل فى الهواء لحظة ممسكة بمنجل التشذيب ، وارتعشت فى عينيه ابتسامة ، ثم كان يعود الى عمله فى تقليم الشجر .

اصبح عالم بيترى الآن غريبا مشتتا بين تكريس جهده للأرض وبين أحلامه عن ارتيمى . وما كان عن الاثنين يتزعزع . كان كما لو كان يعيش حياتين لم يكن يجمع بينهما فى فكره البدائى شبه مشترك ، ولكن لم يكن ثمة سبب لأن تدب الفرقة بينهما على أى حال . كل ما هنالك ان الأحلام فتحت نافذة تدفق منها ضوء

جديد غمر قلب بيتري .

هكذا مضت السنين. بسطت أشجار البرتقال اغصانها وتشابكت أوراقها . وبلغ ارتيمي الثامنة عشرة من عمره ، وحصل على الشهادة الثانوية . صار فتى أسمر رزينا قليل الكلام ، يشبه أباه كل الشبه . وكلما شب ارتيمي وافلح انتشر النور في قلب بيتري بثقة واطمئنان ، كما لو كان فلاح الابن مصداقا على فلاح الأب في بستانه .

ومع ذلك ففي الآونة الأخيرة بدأت تهب ريح جديدة اقتلعت من الناس ألبابهم . نداء شامل مزلزل كأنه من أعماق الزمن يبشر بأن الساعة قد حانت . فلم يعد اطار الحياة اليومية يسع أهل الجزيرة الطيبين . في المقاهي ، وفي السوق ، وفي البيوت ، وفي مقار العمل ، وفي المدارس ، علت موجة من التحذيرات والترقبات والتحديات سمت بالأرواح فوق منطق المصالحة والروتين. امتشق الشبان سلاح الحماس ، ومضوا يتقصون عن فرص التضحية والفداء . كانوا يروحون ويجيئون . ينتحون جانبا ويتهامسون ، ثم فجاة يقفزون الى دراجاتهم ، يركبونها ويمضون الى المدينة . وكان ارتيمي من بينهم .

ساورت الريب بيتري منذ أول وهلة ، الا انه لاذ بالصمت ، ومثل الحيوان البرى اشتم في الهواء مقدمات العاصفة الهوجاء . وبكل تحفظ مضى ينتظر ارتيمي ويتتبعه ، لكن ذات يوم عندما حاولت زوجته أن تحدثه عن مخاوفها على ابنها الذى لايرتدع ، نهرها قائلا :

ـ دعيه وشأنه ، انه يعرف ماذا يفعل . ماذا تريدين من رجل مثله ، أن ينكص على أعقابه ، وينلس مختبئا وراء فساتينك !

على انه بدأ يروض بعد ذلك من تحفظه رويدا رويدا احساس بأن كل هذه الانتفاضة من حوله تنبثق من جذور وجوده ذاته ، من الأعماق ، من أقصى الأعماق ، من حيث يعتصر رحيق شعوره بقوميته .

وفي يوم من أيام الخريف السابحة في دفء الشمس ، كان بيتري جالسا عند عتبة داره يصلح مضخته استعدادا لتعفير أشجاره بالكبريت ، ما ان يجد الوقت المناسب لذلك . فتح الباب في سور الحديقة بدفعة قوية ، ودخل صبيان لاهثين جاءا ووقفا أمامه وهما يديران بارتباك في أيديهما قبعتيهما المدرسية . فزع بيتري

لمرآهما ، لكنه لم يفصح عما انتابه . تطلع اليهما فحسب وانتظر ان يتكلما . فى النهاية ، قال احد الصبيين بلهجة سريعة ، وربما كان قد نسي ما كان قد سبق أن اعده من كلام ـ قال بعبارة مفككة كل الحكاية : نزل الطلبة فى مظاهرة . اطلقت « قوات الأمن » الرصاص . سقط ارتيمى الذى كان يحمل العلم فى المقدمة. جرح اثنان آخران ، لكن ارتيمى ... سقط : كرر الصبى قوله بصوت نائح .

فهم بيترى ، وهب لتوه واقفا . ارتفع بداخله عمود من الغضب العارم ، وعلا الصراخ فى اعماقه . اما الأم التى كانت فى البيت وسمعت فقد ندت منها صيحة ، وهمت بالاندفاع خارجا ، لكن بيترى مد يده وصدها . وبينما هو يحتضنها بحنان لم يسبق ان احس بمثله اقتادها واعانها على الجلوس .

بدا كل ما اعقب ذلك فى هذا اليوم واليوم اللاحق بالنسبة لبيترى كما لو كان يجرى فى منطقة منفصلة من حياته ، فى منطقة لا شيء فيها ينتهى ، ولا شيء يبدأ ، لأن اللحظة ، كل لحظة ، مشحونة الأعماق بارتجافات تغمر وتستحوذ وتوجه كل شيء . ووسط الانسحاق الذى عاناه قلبه ، احس كما لو كان مشدود الأزر من تماثل مترام ومتجاوز للحد بين مأساته والنبض الكلى لما حوله .

لكن بعد أن وورى جثمان ارتيمى القبر اقبل الليل . واخذ المعزون ، بضغطة على اليد ، بكلمة مواساة طيبة ، ينصرفون . وبعد منتصف الليل بقى الوالدان العجوزان وحدهما ، وليس ثمة من يقف الى جوارهما فى حزنهما الكبير .

احس بيترى عند ذاك انه قد هبط الى المنطقة المألوفة ، حياة كل يوم. استدار ونظر الى الأم التيجلست صامتة مكسورة الجناحين وقد بدا لها باطلا كل عناء وجزع . أحس نحوها فى قلبه بذلك الحنان من جديد ، وسرى فى عروقه دبيب ميل الى ملاطفة مكبوتة. وما لبثت الأم وقد هدها التعب أن رقدت تحاول النوم ، أما بيترى الذى لم تعد الدنيا تتسع له فقد فتح الباب ، وخرج الى البستان .

جرفه مشهد اشجاره النابض بالحياة ، وشذاها المألوف فى ضوء النجوم ـ جرفه ذلك الى فلكها كما كان يحدث له دائما . كانت هذه احلى ساعات الليل ، تلك التى تبشر بانبلاج الفجر.

مضت الجنادب تطرز صوتها خيوطا على خمار الصمت . خفق جناحا دجاجة فى حظيرة الدواجن . ومن بعيد سمع خوار ثور . ثم اخذ الأفق يكتسي بلون وردى ، ولاحظ بيشرى ان الجو كان جافا وساكنا . « حان وقت التعفير » هـذا ما فكر فيه الفلاح الذى استيقظ بداخله ، ثم عمد من تلقائه الى ربط الفكر بالعمل، فمضى الى كوخه حيث صف معداته ، واخذ مضخة التعفير ، وشرع فى العمـــل .

ملأت المضخة صمت تلك الساعة فى الفجر بصوت غريب ، كان يشبه حشرجة رتيبة عنيدة من مخلوق يحتضر ـ بصوت كما لو كان يهيب بالشمس وهى تشرق وتبسط نورها أن تعطى لكل شيء معنى واضحا .


المـــرأة ذات العينين البريئتين
ميخائيـــل كانيلليس

المرأة ذات العينين البريئتين

ـ أيها المتهم ، ما دفاعك ؟

ـ . . . .

فى قاعة محكمة الجنايات بسط الصمت الخالص جناحيه العملاقين .

حبس كل الموجودين سواء من هيئة المحكمة أو المحلفين اوالمحامين او المتفرجين . حبس كلهم انفاسهم . وقد تسمر فى صدورهم قلق مشترك .

بدا المتهم مشدوها ، مستغرقا بمواكب الأشباح الحزينة المتتابعة أمام بصيرته الداخلية . لم يحرك ساكنا ، فلم يكن قد سمع ما أمره به رئيس المحكمة .

وبصوت اكثر ثباتا ، عاد هذا الاخير يقول :

ـ أيها المتهم ، بم تجيب ؟

لكزة واحد من هيئة الدفاع عنه بلباقة من تحت المنصة :

ـ ياسيد فلامينى ، ادل باجابتك ...

ثم كرر عليه القول ، بصوت أكثر خفوتا . حتى يفهمه ذلك الذى جلس محطما على مقعد أولئك الذين هدمتهم شرورهم :

ـ هيا ، تشجع ، أيها الصديق التعس ...

عندئذ فحسب أفاق المتهم من غيبوبته .

هب فى وقفة آلية ، وبحركة تلقائية رتب خصلات شعره الأسود التى تلقى ظلالا ثقيلة على وجهه مثل عرف غراب أدكن ، ثم فتح فمه كى يتكلم .

انه يافلوس فلامى ، الطبيب الشاب المعروف لدى أوساط المجتمع الراقى ، درس فى أوروبا ، وكان يبشر بمستقبل باهر ، كنابغة من نوابغ الجراحة .

أما الآن ؟

يا للخراب !

(كانت المأساة المخيفة قد انقضت عليه فجاة مثل طائر كاسر فقأ بمنقاره الجارح عينى قدره السعيد) .

تجمعت فى المحكمة يوم القضية النخبة الممتـــــازة من المجتمع الاثينى . مضت الألسنة النهمة تلوكه من كل ناحية بقدر ما فى الجموع من فضول .

وكان الغريب فى الأمرحقا ، اذكان العكس هو المتوقع حدوثه ، ان النساء تعاطفن معه ، بينما القى الرجال الوزر عليه ، وقذفوا فى وجهه جميعا قولهم :

ــ أيها المجرم !

بدا بافلوس فلامى وقت أن قام يدلى بدفاعه رماديا ، شاحبا ، كميت قبل أوانه غطاه فيض من التراب المظلم ...

بين الفينة والفينة ، عندما كانت تصل اعترافاته المفجعة الىأكثر مشاهدها قتامة كان يلجم لسانه ، ويتعثر ، ويبح صوته . وبين شدقيه كانت الـكلمات تجهض ، تموت قبـــل أن تولد ، وتختلط عباراته ويدب فيها الارتباك . وعندئذ كان حديثه المحطم ينبىء عن مبلغ الدمار والخراب الذى حاق بروحه ووجدانه .

وشرع يقول :

... ...

ــ أين عرفتها ؟ كيف عرفتها ؟ لماذا عرفتها ؟ لا ادرى ... يكفى اننى قد عرفتها ... عرفتها بالقدر الذى يمكن لرجـــل ان يعرف امراة . اعنى اننى لم أعرفها قط ... لأنك كلمـــا زدت تعرفا على امراة ، كلما ازداد جهلك بها . ان المرأة تيه تضل فى سراديبه . وكلما أوغلت فى أعماقه كلما تكاثف الظلام من حولك...

قاطعه رئيس الجلسة بعصبية :

ــ أيها المتهم ، أدخل الى الموضوع راسا . الى الموضوع راسا ! انك لم تات هنا لتتفلسف ، بل لتدافع عن نفسك ، لتبرر لنـــا تصرفك ، لتبرر تصرفك ...

(كان السيـــــد الرئيس قد اكتسب من عمله القضائى عادة ان يردد ثلاث أو اربع مرات ختام عبارته . وكان هذا التكرار المشدد يضفى عليه صلابة ومهابة ...)

هب الأستاذ ميلاراس محامى المتهم وعضو البرلمان ــ هب واقفا برشاقة ! انتفش الشعر المستعار على رأسه مثل اسد هصور ، واندفع يقول فى احتجاج متاجج :

ــ اننى أعترض ، ياسيدى الرئيس ! ان دفاع المتهم عن نفسه حق مقدس ! لا تنسوا ان حياة انسان يتهددها الخطر فى هــــذه

اللحظة ، وان حبل المشنقة ليس بعيدا عن رقبته .
ـ انني لا اسمح لمحامي المتهم بمقاطعة المحكمة .. لا اسمح بذلك لا ..
ـ بل ستسمحون ، ياسيدي الرئيس ، ان حياة موكلي في خطر، ولهذا فمن حقه أن يدافع عن نفسه كما يشاء ...
اشتبك الرئيس ومحامي الدفاع لحظة في مشـــادة حامية . الا ان وكيل النيابة الذي كان من اعضاء الهيئة القضائية الطيبين نجح في تهدئة الطرفين . وهكذا استطاع الطبيب فلامي ان يواصل دفاعه عن نفسه بلا قيد سوى نصيحة واحـــدة من رئيس المحكمة ان « اختصر .. اختصر .. اختصر .. ! »
ـ كان الوقت صيفا .. صيفا أحمر ، احمر مثل شفتيها ، ايها السادة ... في بعض الأحيان ، خيل الى ان شهر يوليو قد ولد من شفتيها ... كنت اقضي اجازتي آنذاك .. (كم من السنين مضت منذ ذلك الحين ؟ كم من الأصياف انقضت ؟ لا أعرف... اذكر فحسب انه الوقت الذي كنت فيه لا ازال أحيا !) قضيت اياما وليـــالي حلوة في تلك الجزيرة من جزر بحر أيجه .. كان الليل ينساب في هدوء فوق جسمي مثل اهداب حبيبة . آه ، كم انسجم جسمي مع ليل تلك الجزيرة ...
ثم التقيت بها !
لم يكن لها أب ، ولا أم ، ولا قريب . كانت وحيـــدة وغريبة ومعتزلة ، كما لو كان قد القى بها الينا كوكب آخر . أكانت آنسة ؟ سيدة ؟ أرملة ؟ لم أكن أعرف . وما من أحد غيري كان يعرف. كان الجميع ينادونها « بالمرأة ذات الضحكة الحمراء » .
رقصت معها ..
كانت رشيقة مياســـة القد مثل شبح امرأة حسناء بعثت الى الحياة . اثناء الرقص كانت تنزلق من بين يدي كما لو كانت طيف امرأة . كنت افقدها من حضني فجأة بينما كنت أحتويها كلهـــا بذراعي . وبين الفينة والفينة كان أحد أجزاء جسمها يتبخر من جانبي وان كانت تظل في ناظري . وكان هذا مدعاة للرهبة !
كنت اراها كاملة ، ولـــكنني كنت احس بها ناقصة . لم تتبين عيناي على هيئتها المضيئة شيئا غائبا ، ولـــكن لمستي كانت تشعرني بأن ثمة فراغا ...
ذات ليلة رقصنا كثيرا . لم تكن تلك التي بين ذراعي امرأة ، بل

كانت روح الرقص التى تفتننى وتلهب النار فى جسدى ، تبتعـــد كمادة وتضيع فى أغوار البحر العميقة ، بينما كانت تظل تنتفض وتتثنى فى أحضانى . كانت جد بعيدة عن متناول يدى . من يدرى اين أ.. فى الوهاد الغائرة ، فى الأجواء الاثيرية المترامية ، فى أجواز الفضاء ، فى مدارات النجوم ، لاشك ان موطنها الغامض هناك فى مكان من هذه الأمكنة ...

كان جسدها يسافر ، يهرب ، يذوب ، يرحل بعيدا تاركا لى اطاره الخارجى فحسب ، كنت ارقص ـ ويا لهول ذلك ـ مع الجلد الخارجى لمخلوق وحشى اجوف ..

شربت تلك الليلة الـكثير من الشمبانيا . فشعشعت الخمر فى خواء كيانها ، وتلألأت الومضات فى عينيها ، واضاءت بشرتها مثل طبقة من الراديوم .

ومن الغريب أنها ما كانت تغيب عن وعيها مهما شربت . على ان جسدها كان يتبخر من أمامى ويستحيل فى ناظرى طيفا ناصع البياض ، كما لو لم تكن مخلوقا بل كائنا يتعدى كل المخلوقات...

كانت انثى تتجاوز روحها الحدود .

ولا شىء غير ذلك ..

فقط كانت النظرات تتطاير من عينيها ملتهبة ، كما لو كان القدر قد اقتلع من غراس باطن الأرض مقلتى شيطان وزرعهما فى محجريها . كانت عيناها مفعمتين بالحياة . أما شفتاها الحمراوان ، شفتاها شديدتا الحمرة فقد بدا لى انها كانت تخضبهما بلهب الشمس...

أومات لى قائلة :

ـ لنذهب ...

ـ الى اين ؟

ـ لنذهب ...

لم تنبس بهذه العبارة . كلا ، لم تنبس بها . أقسم لـكم على ذلك بجريمتى المحتومة المقدسة . اقسم ! لماذا اخدعكم ؟ وما حاجتى الى ان أخدعكم ؟ انكم ترونني : اننى ميت ...

لم تنطق بكلمة « لنذهب » لم تنبس شفتاها بهذه الـكلمة .. ومع ذلك فقد دوت فى اعماقى .

وذهبت ، تبعتها موثق القيد الى خطاها ، يشدنى ظلها اليها كما لو كنت كلبهـــا الأمين وسرنا معا ، انا والمرأة ذات الضـــحكة الحمراء ، أنا والشيطان ! ذهبنا الى خليج هادىء ، قصى ناء عن

العيون ، حيث كانت الأمواج تنبسط مثل الشهد على رمال الشاطىء .
من حولنا ، مضت النجوم تسير بين الصخور . اما القمر فقد كان قد انسكب كله في البحر . وفي اليم المريض ذاب صديده فبدت المويجات الساكنة مخضبة بما يشبه صفار البيض .
وقفت صامتة على صخرة صغيرة جوفت ما تحتها تيارات البحر الغائرة .
نظرت اليها ...
بدت هيئتها كاملة ، ومع ذلك لم يكن امامي حتى ولا نصفها .
أين ذهب الجزء الباقي من جسمها ؟
شرعت المرأة تخلع ثيابها ...
مضت تتجرد أمامي ، بلا اضطراب ، وخجل ، ولكن بلا وقاحة ، كما لو يكن ثمة رجل الى جوارها ، كما لولم أكن [illegible] ، بل مجرد طيف خيالي ...
هل كانت تجهل وجودي ؟
هل كانت ناسية ؟
من يدري ؟
كانت تخلع ثيابها ...
ومثل بخار ينفصل عن بخار اخذت الغلالات تسقط عن جسدها الاثيري . وكنت ارتعد ، أرتعد مثل حيوان مقصي عليه ، خشية ان يتبخر الآن مع ثيابها جسدها ايضا ، أن تتبدد المرأة من امامي ، وتستحيل هواء أو ضبابا أو عدما !
وبدون أن تفتح فمها ، قالت لي صراحة ، بكلمات لا تنبس بها الشفاه بل تتحدث بها الأعماق :
ـ الق بنفسك ...
ـ أين ؟
ـ في اليم . الق بنفسك ...
كانت الآن عارية تماما .
تمتمت ، مجنونا :
(مجنونا ؟ كلا ، لم اكن مجنونا ، كلا ، لست مجنونا ، من قال انني مجنون ؟)
ـ لم نحضر لباس البحر ..
اشارت لي المرأة العارية ، بحركة آمرة الى البحر الساكن سكون

الأموات ، الى اليم الفسيح الهادىء المليء بالصديد ، الذى يرقد نائما .

ـ الق بنفسك ...

وفى لحظة كنت بدورى عاريا الا من جلدى المبهور . وقد غاصت ساقاى باستسلام فى طحالب البحر وحشائشه . خطوت أولى خطواتى فى الماء فسرت الرعدة فى أوصالى ..

رايته راكدا سميكا كان البحر مريضا الليلة . بطنه التى تكاثفت عليهـا الطحالب انتفخت على غير المـألوف كما لو كان قد أصيب بالاستسقاء منذ سنين .

كان البحر مريضا الليلة ، مثل انثى اكتمل حملها وبلغ منتهاه . وقد طفحت على سطحه طبقة من البثور مضت قدماى تفقأها فى خطوى . كنت اشعر ان البحر يلفظ الليـلة سموما . كان اليم مكرا ، عكرا للغاية .

توقفت .

أردت ان أعود . آه ، ان أعود ادراجى الى اليابسة من جـديد حيث تجد أقدامى الاستقرار والرسوخ .

ولـكن هيهات ! ..

لقد نهتنى المراة العارية عندئذ، باسطة ذراعيها نحوى مهددة.

انتصبت المراة واقفة بينى وبين القمر، فرايت ، وبالهول مارأيت ، القمر وضاء من خلالها ، كما لوكان جسدها شفافا ، لم يكن يحجب اشعة القمر . لم يكن يصدها .. كان الضوء يخترق قامتها بحرية .. كما لو لم يكن جسدها من لحم ودم بل من زجاج ! ..

اية طبيعة ، اية خليقة ، من اية مادة ، مجهولة بعد فى هـذا الـكون صنعت هذه الأنثى الغريبة ؟

اواه ! لم تكن قد خلقت مثـل نسـاء الأرض ، من ماء وجير وفوسفور وخلايا ، كانت مخلوقة ذات تركيب بيولوجي خارق . كان معدنها قد انصهر واستوى فى أفران جد مختلفة خارج نطاق ارضنا . كانت معلومة حية ، اشارة نشطة تبعث بها القوى العاقلة فى الفضاء المترامي الأطراف عن المخلوقات التى تحيا وتتحرك خارج نطاق الـكرة الأرضيـة .

رايتها تقفز بدورها بعد قليل الى جوارى فى اللجة .

وسرت الرعدة فى من جـديد .

سقطت دون ان اسمع ادنى صوت لارتطامها بالماء . وغاصت فى صمت .

شرعت تشق الموج بلا جلبـــة .

انتابنى الهلع . أردت أن أراها ! اردت أن المسها لم اكن اريد ان اتبين الآن من هى ، بل أن اتبين ما هى ..

هجمت عليهـــــــــا ...

ادركتها وذراعاها يشقان اللجة السميكة كما لوكانا يشقان سطحا من العسل . طوقت وسطها متلهفا أن اضم جسمها الى جسمى اخيرا ، وأن احس به مثل سائر اجساد نساء الأرض ...

وعندئذ حدث شىء مخيف ، لن تصدقوه أنتم لأنكم لم تلتقـــوا « بالمراة ذات الضحكة الحمراء » .

لم تصادف يدى وانا أحضنها أية مقاومة ! لم يكن لجسدها كثافة خاصة تزيد على كثافة المـاء !

وفصلت جسمها عند الوسط ، شطرته بضمتى لها . وبلا صد من جسدها أمسكت يدى بجسدى انا !

لـكن المراة الغريبة كانت هناك ، الى جوارى ، تكاد تنكب على بسخاء وحيوية ، وأسنانها البيضـــاء تلمع وضاءة بين شـــفتيها الحمراوين .

سرت رعدة باردة فى عروقى .

لم تـــكن هـــذه المراة من لحم ودم ؟

مما كانت اذن ؟

يخيل اليك ان ثمة مرضا غريبا على الجنس البشرى قد أوهن من التصاق أجزائها بعضها ببعض ، وزاد من الفراغات بين خلاياها ، وحذف الرباط الوثيق بين الذرات . فاستطاعت يدى بذلك أن تجد على نحو ما ، فجوة نفذت منها .

ولـكن كيف بدا اذن قوامها الوطيد على هذه المرونة والتماسك؟ كيف لم يكن يسبح وينهار مثل كتلة هشة .

تفحصته الآن لا كرجل ، بل كطبيب لاتبين ظواهره الكيميائية ، لافهم لمـاذا خرج هذا الجسم على قوانين الطبيعة التى لا حيـدة عنها وتحكم الوجود كله .

وربت عليه ...

وأجريت راحتى المتيقظة عليه كله متحسسا اياه لا عن عاطفة بل عن حس تشريحى مرهف .

لم يكن يبدو على الجسد الآن وأنا اتحسسه اية بوادر غير طبيعية . كان الجسد العادى لامرأة شابة مبللا بالماء ، ، مصقولا مشرعا مثل نصل ابيض .

نقط حيثما لمستها ، بالضبط حيثما التقت بشرتى ببشرتها كان يبدو احمرار ، كان لحمها يتورد ، ولكنه سرعان ما كان يفقد لونه كما لو كانت ثمة شفاه مجهولة تطفىء لواعج اللهب .

وهكذا مضيت اتفحصها ، تحسست كل موضع من بشرتها . دون أن تخطر ببالها أدنى فكرة استحياء ، كما او لم تكن قد مرت قط بمرحلة العذرية . تركت لى الحبل على الغارب ببراءة واستسلام طفلة فى الثانية من عمرها كما لو لم تكن تعرف المعنى الجنسى للامسات الرجل .

لكننى كنت اشعر بها الآن مكتملة تتدفق حيوية . كلها بين ذراعى ، تتكىء الى واتكىء اليها ، وكان هذا يكفينى .

كنت الرجل ، وكانت هى المرأة . كنا وحدنا ، كما لو كناخارج حدود الدنيا . لا أحد معنا ، يلتف كل منا بجسد الآخر .

كنت اشتهيها .

ضغطت على يدها . وجذبتها خارج البحر ، الى ناحية من الشاطىء يكسو رماله بساط من الطحالب ، كانت تفوح من أحشائها أنفاس خشنة لحضن ميت ، كما لو كانت تمور من تحتها فى صمت قبلات موتى الأرض كلهم .

ارقدتها على الطحالب . كانت الرمال تئن من ثقلها . انحنيت عليها فجاة . كانت الرغبة فى أعماقى هوجاء عارمة لاننى لم أكن أجد منها أدنى صد .

همست متمتما :

ــ الا تحبيننى ؟

اجابتنى بصراحة تامة :

ــ كلا .

ــ الا تحبيننى ؟

ــ كلا .

(يا للجحيم ! كلا ؟ ومع ذلك كانت هناك عارية كما ولدتها امها ، مستلقية دون أدنى فاصل يفرق بين ظلينا !)

تمتمت حانقا :

ــ سوف تحبيننى ؟

ــ ربما ...
ايه ، فى النهاية ما الذى يعنينى الحب طالما اننى ظافر بقربها ؟ ما الذى تعنينى الروح طالمــا كان الجسد لى ؟
ــ تعالى ! ...
لــكنها لم تأت الى ، بل أنا الذى إندفعت اليها ، فلم تتهرب منى ، وتقبلتنى بارادة مستسلمة . وما لبثت الرمال أن مضت تئز بعد قليل من فرط ثقلينـــا ...

بعد أن أفقت من ضجعتى ، وجدتها قد عادت الى وقفتها تحت القمر ، وقد رفعت عينيها المتقدتين بنور أحمر عاليا نحو قبــة السماء الرحيبة من فوقها .
تابعت نظراتها بنظراتى . ورأيت انها كانت تحملق على الدوام فى النجم ذاته الذى كان يرتعش فى الفضــاء البعيــد .
ســـألتها :
ــ الى ما تنظرين ؟
اضـــطربت ، وشـــحب لونها :
ــ لا شىء ...
ــ اى نجم هو ؟
ــ انه نجمى أنا .
تبينت أن هذا الموضوع قد أزعجها ، فتقلص جسدها كله مثل فاه مسعورة . فغيرت الحديث :
ــ فأنت قد احببتنى ، اذن ...
ــ قلت لك كلا .
ــ لــكنك قد وهبت نفسك لى .
نظرت الى مبهورة ، وقد كانت دهشتها مفعمة بالصدق، حقا :
ــ أنا ؟
ــ انك ...
ــ وهبت نفسى لك ؟
تمسكت بعزتى كرجل :
ــ الم اســـــتمتع بك توا ؟
هزت راســــــها فى حزن :
ــ انت مجنون يافتاى . انك تحلم . يبدو انك قنوع .
ــ اذن ، لم تصـــــبحى لى ؟

رفعت كتفيها بحركة طبيعيــــــــــــة :
ـ كلا ، ولاشــك . وما كان بامكانى ان أصبح لك . اولا ، لاننى لا احبك ، وثانيا لاننى ...
ـ لانك ماذا ؟
ـ لازلت عذراء .
ولأول مرة رأيت دماء الحياء تــكسو خديها .
عــــــــذراء ؟
انتابتنى نوبة من الضحك . ها ! ها ! ها ! عذراء ؟ فلاضحك ثانية . ها ! ها ! ها ! ماذا كانت تعتقد فى ؟ مجرد مبتــدىء غرير ، يتلمس طريقه بخجل ، ولازال يجهل معالم البنيان الانثوى؟ لقد كنت ذا خبرة علمية وعضوية بجسد المرأة ، وقد تأكدت جيدا ان معول الحب قد هدم كل القلاع فى ذلك الجسد ...
وهى تدعى الآن ان ...
ـ ها ! ها ! ها !
فى البـــداية ، تصـــورت انها مجنونة .
ولــكن هيهـــــات ...
كانت المرأة ذات الضحكة الحمراء تدرك جيدا ما تقول . كانت هى عذراء حقا ، وكنت انا المجنون !
ـ منذ ذلك الحين بدأت بالنسبة لى حياة على غاية من الغرابة ـ لم يتح لرجل أن يعرفها ولاشك .
كانت لى دون أن تــكون لى . كانت عشيقتى الى اقصى الحدود التى يمكن أن تتاح لرجل .
ومع ذلك ، فانها لم تــكن باى حال من الاحوال لتعترف بذلك . كانت تنكر الأمر باصرار . وبغضب لا يصــــــدق .
وقد ولد عنادها عنادى . لم اعد اقنع بأن اكون مالك الارض كلها ، لم اعد اقنع بأناكونالربان المسيطر علىكيانها الأجوف كله .
كنت اريدها أن تعترف هى بذلك . وهكذا بدأ استحواذى عليها ناقصا ، غير مكتمل طالما لقيت سيادتى عليهــا حدودا وعوائق ، طالما انبسطت على جسدها دون ان تطول روحها .
فى ساعة الفرحة ، على الرغم من ان العناق كان يوثق بيننــا كتوامى سيام ، ورياح قبلاتى الملتهبة تهب حتى اعمــاق كيانها ، فاننى كنت اضغط رأسها بين راحتى مهتاجا ، كما لو كنت أريد ان انقل اليها بعزيمة يدى سطوتى ونفوذى ...

وكنت اســــــــــالها :
ـ والآن ، من انت ؟
ـ لا شيء .
ـ ألست لى الآن ؟
ـ كلا ...

كلا ؛ يا للشيطان ! لم تكن لى على الرغم من انها كانت لى ! ياله من عذاب !

وعندئذ تاقت يداي الى شنقها . وتحولت ملاطفتى الى أظافر مسنونة . انزلقت يداى من خديها الى أسفل واستقرتا على عنقها واستعرت فى أصابعى الرغبة العارمة ان أقتلها .

واستحالت قبلاتى الى نحيب ...

ذات ليلة بعد ممارسة الحب ، أردت أن أجعل عينى تلثم عينيها بحركة عاطفية دقيقة للغاية تتلاقى فيها رموشنا .

أول الأمر ، لم تتبين ما كنت أنوى . وما أن رأت حدقة عينى تحط على حدقتها المفتوحة الى أعلى ، حتى أطلقت صرخة .

انتفضت ودفعت بى بعيدا عنها ، ومن فمهـــا انسكب لعــــاب مشتعل مثلما ينسكب من وحش جريح . قالت مولولة :

ـ ماذا تريد أن تفعـــــــــــل بى ؟
ـ مجرد ملاطفـــــــــــة ...
ـ فى عينى ؟
ـ ولمـــالها ؟
ـ لا أســـمح بذلك . لا أســـمح بذلك معك .
ـ لمــــــــــاذا ؟
ـ لأن عينى ســـــامنحهما لمن ســــــاحب ...

ضـــــــــــحكت ببرود :

ـ اذن ، انا لست من تحبـــــــــــين ؟
ـ كلا .

لم تكن تحبنى ، ومع ذلك فقد كانت تمنحنى جسمها كله أرتوى منه كما اشاء . ومرة أخرى على الرغم من انها كانت تستسلم لى تماما مضت تدافع بضراوة عن عينيها فقد ارتبط بهما شرفها وعرضها .

(ولــــكن اى مخلوق هى ؟)

اى مخلوق تلك المراة ؟ لعنة ! ... اى شيء هى عرفتـــه فيما بعد . ومنذ ذلك الحين وأنا أجرجر ظلى الميت على الأرض

مثل شبح هائم بالليالى ...
ومع مضى الوقت ، وازدياد الالفة بيننا لاحظت على هذا المخلوق مظاهر غير مفهومة .
لم تكن تستخدم احمر للشفاه قط . ومع ذلك كانت شـــفتاها حمراوين على الدوام ، ليـــل نهار . لم يكن لونهما يبهت قط . بل وحتى لعابها كان احمر .
فى أول الأمر انشغلت عليها ، اعتقد انها قد أصيبت بنزيف . قلت لها ذلك .
ابتســـــــمت .
ــ انني بخير ...
ــ ولـــــــكن ...
ــ افحصنى اذن ، ما دمت طبيبـــــــــــا ...
خلعت ثيابها بـكل ثبـات . وظلت بين يدى عارية من رأســها حتى خصرها . تناولت السماعة وكلى خشية أن تتناهى الى سمعى العوارض التقليدية المعروفة .
أصخت الســـــــمع ...
لا شىء من ذلك !
كان جهـــــازها التنفسى يعمل بشكل منتظم وبلا لغط . كانت الشعيبات الرئوية تضخ الهواء كصمامات آلة وطيدة الصنع ...
ســــــألتها دهشا :
ــ ولــــكن ؟
ــ ماذا ؟
ــ هـــــذا الدم ؟
ــ ليس دما ...
رفعت كتفيها متضـــــايقة :
ــ وما شأنك ؟
لم تكن قوانين الطبيعة والطب سارية اذن على هـــذا المخلوق الخارق للمألوف الذى كان يتعدى قبضة تلك القوانين الفولاذية ؟
وقد لاحظت عليها أيضا أنها لا تنام الليـــل أبدا . وقد كان الفجر يلقاها شامخة موجهة بصدرها الى الغرب ، وقـــد أولت ظهرها بحركة عدوانية الى بركان الشرق المتقد .
ساهرة ، كانت ترشف شفتاها تيارات الليل كلها . وفى صمت راقدة على المقعد كانت تبتلع النجوم ...

كل النجوم ؟
كلا .
تمكنت ان الاحظ انها كانت ترنو حالمة بحنين ولهفة الى نجم واحد من بين النجوم كلها ، نجم احمر كان يسحرها ويجذبها اليه كمغناطيس لا فكاك من اسره ...
وتصادف أن كان يقضي اجازته بدوره على جزيرتنا أحد معارفي يعمل بمرصد نيكوس الفلكي .
ذات ليلة اريته ذلك النجم الذي كان ينشر في الفضاء بلا انقطاع اشعة مثل أوراق وردة حمراء :
ــ اى نجم هو ؟
ــ الا تعرف هـــــــــذا النجم ؟
ــ كلا .
ــ آه ، ، انه النجم المعروف « آريس » !
الجم لساني ، بهت . ثم تمتمت :
ــ « آريس » ؟
ــ كوكب على غاية الأهمية . أقرب جيران الأرض . لا يبعد عنه سوى مليون ونصف من الـكيلومترات . أي مجرد قفزة برغوث اذا ما قورنت بالمسافات الفضائية بين الأجرام السـماوية . نجم احمر هو ، عرف بقنواته المشهورة التى اثارت الجدل بين علماء الفلك منذ قرن ونصف من الزمان . بل واحدث النظريات عن هذا النجم انه كوكب مسكون ، ومسكون من كائنات جد قريبة الشبه منا ، طالما ان قوانين الحياة في آريس تماثل قوانينها على الأرض. تصور ، ياسيد فالي ، ان يكون هناك ايضا رجال مثل رجال الأرض ونساء مثل نساء الأرض ، تجمعهم عواطف واحدة ، بل وربما كان لهم الأجسام ذاتها ...
وقد مضت الايضاحات العلمية المبهمة التى يدلى بها صـديقى تدوى في سمعي .
شيء واحد من كل ذلك رن في ذاكرتى مثل جرس جناز .
ــ « نجم أحمر ... »
وهذه المرأة ذات الضحكة الحمراء ، التى لا اسم لها ، المجهولة ، كانت ترنو الى هذا النجم بحنين ويأس ، مثلما تتعلق أنظـار سبية من مركب الأسر بأرض أجدادها وحبها التى تغيب عن أنظارها متبـــــاعدة .

لمـــاذا ؟
ذات مساء آخر ، جاءت الى بيتى لتصحبنى ، الى نزهتنا التى اعتدنا عليها بالقارب الذى اشتريته من ترسانة الجزيرة ، قارب رشيق طيع مثل فرس يخطر على الموج ...

تصادف ان قرات فى احدى الصحف الأثينية مقالا متخصصا عن كوكب « آريس » لأحد علماء الفلك ، اعلن فيه انه وفقا لأحدث الشواهد ، فان كارثة كونية ستفجر قريبا هذا الكوكب الواهن الذى دبت فيه الشيخوخة ، واوشك ان يبلغ آخر دورته الحياتية خلال هـــــــــذا العام .

« ويعتبر آريس ـ على حد قول العالم المتخصص ـ بالرغم من حيويته الخداعة ، واحمرار لونه الموهم بانه ـ على مايرام ـ يعتبر نجما مقضيا عليه ، لابرء له ، على شفا الهلاك . آفة خفية تنهش اعماقه . مرض عضال مضى ينخر فيه ويقوض كيانه ..

ثم استطرد المقـــــــــال قائلا :

« وربما تسنى لجيلنا الحاضر أن يستمتع بالمشهد البـــانورامى المهول لدمار النجم آريس سيتفتت النجم العجوز ويتحول آنذاك الى مطر غزير منهمر من الشهب المتقدة .

وببراءة قرأت عليهـــــــــا المقال .

أصغت اليه غيرمصدقة ما تسمع . وقفت صامتة متوترة . وعندما وصلت الى النهاية هجمت على كقط برى وقطعت الصحيفة اربا اربا :

ـ هــــــــــذا كذب ! كذب !

ومزق الصياح حلقها ، مثل نصل حاد يشق ثمرة خضراء :

ـ انه وضيع ، الذى كتب ذلك . وضيع ! وضيع !

انهـــــــــارت ...

تلقاها حضنى مثل هـــــــــندية مريضة .

وعندئذ مالت المرأة براسها على كتفى الذى لم يكن يتوقع ذلك ، وقد انشرخ وجهها وانخرطت فى بكاء مرير ...

لماذا اثارها هذا المقال واحزنها الى هذا الحد ؟

ماهو اذن اللغز المخيف الذى لم يسبق معرفته ، المتجاوز للحدود الانسانية المختفى وراء ذلك المخلوق المحير ؟ وبين مخالبه اى سر مريع يتخبط ؟

ويا للكارثة التى ستحل بى !

اننى سوف اعرف ذلك بعد قليل !

ذات يوم تلقيت برقيـــة من اختى تقول : « امنا مريضة . عد حالا ... »

لم اعد . ماتت امي . لم ارها ، لم ارافقها الى مثواها الاخير. فقد كففت ان اكون انا . صرت حيوانا تابعا للمرأة ذات الضحكة الحمراء .

ذات يوم ســـألتها :

ــ كفاك تهربا ، وخبريني ما اســـمك ؟

ترددت اول الأمر. امسكت عزيمتها الاجابة الجاهزة على طرف لسانها . لـكنها ما لبثت أن اتخذت قرارها :

ــ ٣٥٧ ، ٢٥٤ ، أ .

اجفلت :

ــ ليس هذا اسما ، بل رقما ...

ــ انه اسمى هناك عاليـــا ...

ــ اين ؟

انزعجت . عضت شفتيها كما لو كانت قد أسفت على كثرة ما افلت منها . ثم رفعت كتفيها بازدراء :

ــ هلا اتيت نرقص ؟

امضيت شهرا معها بعد ذلك ، غارقا فى النشوة والرهبة. وكلما ازددت معرفة بهذا المخلوق الغريب ازداد حبى له . وبقـــدر استسلامها لي ومنحها اياى جسدها عن طيب خاطر بقدر ما كانت تمسك عنى باصرار عينيها البريئتين وروحها العذراء .

ذات ليلة ــ وكانت عشية موتى ! ــ دعيت لأعود مريضـــا . امتطيت بغلا . فقدكانت قريته تبعد اربعة كيلومترات من بقعتنـــا الساحلية . اضطررت ان ابيت بمنزل المريض . وفى مساء اليوم التالى تحركت راجعا من حيث اتيت .

وصلت بيتى فى ساعة متاخرةمن الليل . كانت ليلة صفراء ، كما لو كانت السماء قد امطرت كبريتا . ومضت الـكلاب سوداء ممطوطة تعوى وقد مدت اعناقها وساقيها الأماميتين مضمومتين فى اتجاه القمر الميت .

جريت الى بيتها . صمت مطبق . كان الباب مواربا . دخلت . فى غرفة نومها سمعت ملاطفات مكتومة ، وهميسات ماجنة من فم اعتصر كل ما حلا له من قبلات واقبل الآن على الـكلام .

احسست بفاس خفية تهوى على ركبتى .

ارهفت السمع .
ــ تحبينني ؟
ــ كلا .
(يا للعنة ! ذات كلامها السابق تقوله الآن لرجل آخر، ذات كلامها !)
واستطرد صوت الرجل المجهول قائلا :
ــ طالما لا تحبينني ، لماذا منحتني نفسك ؟
ــ انا منحتك نفسي ؟
ــ اجل . انت !
ــ انت مجنون . كيف استطعت أن امنحك نفسي ، وانا لا احبك، فضلا عن انني لازلت عذراء ...
يا أيتها السموات ، اطبقي على الأرض واهلكيها ؛ كلامها ذاته هذه العاهرة ! بكلماتها البريئة تغطى افعالها الفاجرة ! بكلمات الانكار من فمها تحاول أن تغطى عطاء جسدها .
ــ فاجرة ! ...
هجمت على غرفة النوم وقد اشرعت مسدسي في يدى . رأيتهما هو وهي مستغرقين في القبل . اطلقت النار على العشيق ! آفلت من رصاصتي ، قفز من النافذة واختفى بعاره في ظلام الليل . الليل الذى كان يزحف خارجا في الطريق مثل ضبع يلغ في الفساد.
اما هى فلم اكن اريد أن اجهز عليها بالمسدس . كلا ؛ هذه لن يكون بمقدورى أن اقتلها بطلقة رصاص لأنها لم تكن من مخلوقات الأرض الطبيعية .
ضغطت على صدرها بركبتي . سمعت قرقعة عظامها الداخلية كما لو كانت تريد أن تقفز من مكانها لتخرج من فمها .
تطلعت الى دهشة مبهورة ، بريئة النظرة ، غير متبينة اى اذى الحقت بى ، فلما استشعرت الموت يزحف اليها ، قالت وقد علت الابتسامة شفتيها :
ــ تقتلنى ؟ اشكرك ! ما عدت اطيق الحياة على كوكبكم هذا الغبى حيث الحب مجرد التقاء قذر بين حيوان وحيوان ... انني اعترف لك بالجميل .. والآن ، احبك ... الآن ... اطبع قبلتك على عيني ... ايها الحبيب ... ايها الابن التعس لأرضكم الشريرة .. الآن .. وقد احببتك .. اطبع على عيني قبلتك .. خذني لك .. عيناى .. عانق عيني .. انني اموت ...

شرعت تذوب ، تنطفىء ، تتضاءل بين يدى ، كما لو كان ثمة ريح يقطعها اربا اربا . كانت اجزاء جسدها تتحلل وتتبخر، الواحد فى اثر الآخر ،كان العدم يتصاعد من قدميها الىجذعها ويبددها.
اما انا فقد مضيت احضن جسدها الذى راح يتناقص . اندثر صدرها ثم اعقبه ذراعاها ومن بعدهما رقبتها ثم راسها ،كل هذا انطفأ بدوره . وفى النهاية تلاشت عيناها ، عيناها البريئتـــان اللابشريتان اللتان لم يستمتع بهما لحظة موتها سواى علىالأرض .
عندما خلا السرير من جسدها كله ، رأيت على يدى عينيها . آه ، لم ترحلا ، اذن ! بقيت عيناها وفيتين لجسدى وظلتا تحدقان فى بنظرة حية منبعثة من امرأة عاشقة .
اخذتهما مرتعشا وحافظت عليهما كشيئين نفيسين ، كجسدين مقدســين لنعمة البصر ، لان هاتين العينين ستقودانى ، عنــدما ساتطهر من ادرانى الأرضية ، وعندئذ كنجمين يضيئـــان طريقى سترشدنى عيناها الى السبيل الذى اسلـكه لأذهب واجـــدها .
وساذهب لاجدها فى بلدها البعيــــد ، فى بلدها المهذب ، فى بلدها الطاهر ، هناك !
وبراه المحلفون .

الأحـــزان

إيمـانويـل ليكوذيس



١.٢٥

الأحزان

حدث ما سأرويه لكم فى ميناء بالمضيق الكورينثى ، على شاطىء اليونان الوسطى ، عند مرفأ تنعكس على صفحة مائه ، مثلما فى مرآة ، البيوت وقد اصطفت فى خط مستقيم بلا كثافة ، ويلوح امامك جبل الموریاس الذى تتوجه عاليا قمم سيرياس ، وان شئتم فلنقل ان ما سأرويه لكم قد حدث فى فيترينيتسا أو فى ايتيا .

على مبعدة قليلة من الشاطىء ، وست سفينة شراعية ، جميلة الشكل ، قشيبة الصنع ، ناصعة البياض كما لو كانت قد نزلت تتهادى من النجوم . كانت السفينة مهيأة للابحار . بدا ذلك واضحا من العلم المرفوع بأعلى صواريها ، واشرعة المقدمة والمؤخرة المنبسطة كلها على السواء .

رأيت فجأة قارب النجاة يحل من مؤخرة السفينة ، ويخرج به بحار وحيد يمسك بمجداف الخلفية ويديره مثل عجلة قيادة ، وعند الحافة الأمامية وقف كلب من كلاب السفن يعوى عواء حزينا .

ورسا القارب عند الساحل الرملى ، أمام صف من الدكاكين ، وعلى وجه التحديد أمام قاعدة نصبت بأعمدة غرست فى البحر ، كى يأخذ هناك عشاق التدخين نراجيلهم دون أن يتكبدوا مشقة النزول الى الشاطىء . رسا القارب ، فرأيت البحار يمسك بالكلب الاسود من ظهره وعنقه ، مثلما يمسك بشاة ، ويدفعه بقوة ملقيا به الى اليابسة . وما أن ألقى به حتى انطلق بضربات شديدة من مجدافه مندفعا بسرعة نحو السفينة .

لكن الكلب ألقى بنفسه الى البحر ، فى أعقاب القارب ، ومضى يسبح وهو يعوى عواء حزينا ! انكب البحار على مجدافه الوحيد جاهدا قدر امكانه أن يقطع بقاربه أقصر طريق ، ولكن الكلب بدوره ، يائسا ، راح يضرب الماء بسيقانه حتى لحق بالقارب .

رفع البحار المجداف وقد توحش غضبه ، وضرب الحيوان التعس على رأسه ، قائلا : « بعيد المنال عليك ذلك !.. أظننت انك ستعود من جديد الى السفينة ؟ » .

اطلق الكلب التعس عواء أكثر حزنا ، وربما من شدة الألم ، أو

ربما من شدة الجوى. ولم يحاول بعدذلك ان يمضي في اثر القارب ، بل راح يضرب الماء بسيقانه ، بلا هدف ، وبلا قصد ، لمجرد الا يغوص في اللجة .

لحق القارب بالسفينة . ربط البحار القارب بمؤخرتها ، وقفز الى ظهرها ، وهي ماضية في الاقلاع . اصطكت السلاسل بشدة ، ثم رفعت المرساة الى الداخل . كانت الريح تهب طيبة من الشمال الغربي ، وفي التو انتفخت اشرعة السفينة بالهواء وانسابت في اليم مثل ثعبان الماء . تاركة خلفها شقا يفور بالزبد ، متجهة بسرعة ومضاء نحو بحر ايجة .

ظل الكلب يعوى ، يدفع الماء من حوله مغلوبا على أمره يتخبط ميمما شطر الأغوار البعيدة حيث رحلت السفينة . ولكنها كانت قد ابتعدت كثيرا ، وفي النهاية أطبق عليه اليأس . أدار رأسه نحو اليابسة ، وبعناء وجهد كبيرين تمكن من الخروج من الماء ملقيا بنفسه مثل جثة هامدة على أكوام الطحالب التي كدستها هبات الريح ، تحت القاعدة التي قلت لكم ان صاحب المقهى كان قد اقامها على أعمدة غرسها في الماء .

وما أن بلغ الكلب الشاطىء حتى نهض واقفا ، مادا رقبته ، ماضيا في نباح يمزق الفؤاد ، وهو يلمح صوارى السفينة البيضاء تغوص مختفية باهتة في ضباب البحر الرحيب . كانت بطنه تنتفخ بالهواء الذي يستنشقه بشدة ، وترتعد فرائصه بردا ، وتسيل من عليه قطرات الماء المالح ...

كنت أراه هناك طوال ثلاثة ايام ، وقد اقعى لا يغادر مكانه على الشاطىء ، ولا تحيد انظاره عن عرض البحر أبدا . حملت اليه هناك تحت تلك القاعدة على الشاحل بعض العظام وكسر الخبز ، ولكنه لم يقرب شيئا منها ! وما أراد حتى أن يتشمم طعاما . وقد راح جسده يضمر ، ولا تقوى سيقانه على حمله من شدة الضعف والهزال . فاذا دعته الحاجة الى القيام بدت أطرافه كما لو كانت قد أصيبت بالكساح . ونفرت من تحت جلده الضلوع .

كانت الأولاد تسومه مر العذاب ، لأنه كلب من غير صاحب ، وعلى حد قولهم كلب من كلاب الشوارع . كانت الحجارة تنهمر عليه مثل المطر المدرار ، فتصيبه بمزيد من الرضوض والأوجاع . ولكن الغريب في الأمر ، انه لم يكن ينوى أن يغادر مكانه . هناك تحت اخشاب القاعدة ! ومن يدرى؟ ربما خيل له انه هناك تحت سقف

سفينته وبيئته . وعلى الرغم من كل شيء ، فقد انزل به الأولاد من صنوف العذاب ما جعلني اتساءل كيف انه لم يلق بعد حتفه على ايديهم .

ذات يوم ، بعد أن لاطفته كثيرا ، عقدت منديلا حول عنقه ، واردت أن آخذه معي الى بيتي الذي كان على مقربة من الشاطيء .

تبعني ، بلا ممانعة ، وهو يهز ذيله .

وعندما وصلت الى البيت فضضت المنديل من حول عنقه ، وربت على جسده كثيرا .

نظر الى بعيني كلب مخلص نظرات مفعمة بالود والعرفان بالجميل . عينان ، وان كانتا عيني حيوان الا انه قد ارتسم فيهما كل ذلك الأسى العميق الذي يمزق روحه ، وبعد أن لعق يدي ابتعد منصرفا بخطوات ثقيلة . وما لبث بعد هنيهة ان ادار رأسه ، والتفت نحوي هازا ذيله ، وعاد ينظر الى من جديد بعينيه المتألمتين ، ثم غاب مبتعدا .

احسست باحاسيس ذلك التعس . لم يكن يريدني أن اسيء فهمه . كان فمه عاجزا عن الكلام ، ولكن تلك النظرة الشجنية بدت كما لو كانت تقول لي : « لا تعتقد انني ناكر للجميل ، لكنني اريد أن الفظ انفاسي الأخيرة هناك تحت اخشاب القاعدة حيث يبدو لي المكان شديد الشبه بسفينتي . هناك ، أريد أن الفظ انفاسي متطلعا الى عرض البحر ، مستنشقا رائحة الملح التي تأتي بها الريح » .

ولكن كم كانت هذه الريح تزيد من آلامه !

هناك ، تحت ذلك الركام العطن الذي اختبأ فيه ، عندما كان البحر منخفضا والماء جزرا ، كان يتاح للمسكين شبران من اليابسة يقبع عليهما منكمشا على نفسه ، راقدا بين الطحالب المبللة . ولكن عندما تهب الريح ، ينتفخ البحر وتغمر مياهه ركامات الطحالب كلها ، وتغطي الكلب واقفا حتى بطنه .

ولكنه لم يكن يتزحزح عن مكانه هناك . فقط عندما كان يسمع صليل سلاسل مركب يلقي بمرساته ، كان ينهض ، ويخرج من نجوته المظلمة ، يتفحص البحر بنظراته ويتشمم الهواء . وعندما يقترب من الشاطيء قارب يجرجر نفسه الى هناك هازا ذيله للبحارة لكنهم كانوا يرجمونه بالحجارة ، لأن سمات السعار كلها اجتمعت فيه ، في هذا الكلب القذر اللعين . كانت عيناه الغائرتان تلمعان ،

وكان يدس ذيله بين فخذيه على الدوام .
وفى النهاية ، قرر أصحاب الدكاكين على الشاطىء ان يربطوا فى عنقه حجرا ، ويغرقوه من أعلى سلم الميناء الخشبى ، لأنه كان يعوى كثيرا بالليل ، فيثير جوا من النحس يدعو الموت الى اختطاف الأرواح .
وقد عانيت كثيرا ، وتوسلت اليهم ان يغيروا من رايهم هذا . مضيت اقول لهم انه انما يبكى من شدة حزنه ، ولكن ما من احد كان يريد أن يستمع الى . اما الذى جعلهم يسكتون ويعدلون عما كانوا يزعمون فهو ما اخبرتهم به من اننى أعرف عن هـــذا الكلب انه لايقرب طعاما ، وانه خـــلال يومين ، على الأكثر ، سينفق وحده .
جاءتنا بالأمس سفينة صيد ذات اشرعة بيضاء ، وعند الفجر ، فى الثالثة بعد منتصف الليل تقريبا ، كنت فى قاربها القى الشباك ، كى أرفعها عند طلوع النهـــــــــار .
كنا قد أوغلنـــا الى عرض البحر كثيرا . وعلى الرغم من ذلك ، بينما كنت أرمى الشبكة ، تناهى الى سمعى مع هبات الهواء الوافدة فى تلك الساعة من اليابسة عواء الكلب واهنا يلفظ انفاســه .
وبعد قليـــل ، على الرغم من ان الموج قد دفع بنا على مقربة شديدة من الساحل ، ما عدت أسمع صوته . كان ذلك وقت ان بزغت من وراء جبال ذيسفيناس نجمة الصبـــاح .
لم اعد أفكر فى الكلب ، وانهمكت فى الصـــــيد حتى طلعت الشمس . أخرجنا شباكنا كلها فى النهاية ، ويممنا صـــــــوب الشاطىء عائدين .
هناك على الرمال ، عند حافة الماء ، كان يرقد الكلب ، بالهيئة التى يرسمون عليها أبا الهول ، ساقاه الأماميتان ممدودتان ، ورقبته مشرئبة ، وعيناه مصوبتان الى عرض البحر تحدقان بعيدا .
لكنه كان ميتا ، كانت عيناه المحملقتان منطفئتين زجاجيتين ، وكان جسده متخشبا .
وعندئذ قال الصبى البحار الذى يمسك بمجداف قاربى :
ــ ياه ، أنه الأعرج ! يا للكلب المسكين ! قالوا كلمتهم ، ونفذوا ما قالوه ، اولئك الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة ...
هذه الكلمات المفعمة بالأسى على الحيوان المسكين شدتنى الى البحار الصغير ، وجعلتنى احس بالتعاطف معه ، فقلت له :
ــ أتعرف ، يابنى ، هـــذا الكلب ؟

ـ وكيف لا اعرفه ؟ انه الاعرج ، كلب سـفينة من جزيرتى . سفينة نيكولوستامبا . قالوا انهم سيطردونه وقد فعلوا .
ـ ولمـاذا طردوه ، يابنى ؟
ـ لم يكن شريرا على الاطلاق ، مهما فعلوا به . ضربوه ، شدوا وثاقه بالسلاسل كى يثيروا ضراوته ، ولـكن دون جدوى ! كلاب السفن ، كما تعرف ياسيدى ، يجب أن تكون شرسة ، متوحشة ، يجب ان تعلو أصواتها بالنباح ، وتكشر عن انيابها . أما هـذا الـكلب ، فقد ولد وديعا طيبا . كان يهز ذيله لـكل من تطأ قدمه السفينة . لم يكن يعتبر أحدا لصا ، لم يكن يتوجس فى انسـان شرا ...

حقا ، كم كنت مخطئا أن اظن الى تلك اللحظة ان الانسان وحده تقضى عليه طيبته !

دروب وعرة

ستراتيس تسيركاس



ذروب وعرة

دفعة فى اثر دفعة ، تركته يأخذ منى ما يقرب من مائة جنيه ، على امل إن يقرر الزواج بى . كم شقيت وامتهنت حتى أجمع تلك الجنيهات الثلاثمائة التعسة ، بأنثتى التى ليس لى غيرها. أيتها الداعرة ، بهذا النعت ، فى غدوى ورواحى ، كان يسبنى المعارف والاغراب .

لكن ذلك اليوم اللعين من ايام الآحاد ، كنت على استعداد ان اعطيه كل ما يطلب . مضى عليه أسبوع ولم يحضر ، وقد تعودت ان أراه يوما بعد يوم ، أو على الاكثر كل يومين ، فكنت على أحر من جمر ، انهش نفسى . قلت : « الهى ، فليأت بزهة فحسب ، يشرب قدحا من القهوة ، ولا يعنينى ان يرد الى الجنيهات المائة ، بل سوف أعطيه غيرها . حلال عليه ! » كنت قد الفته كثيرا . احببته .

كلما سمعت المصعد يصعد ، ينتابنى شعور غريب . تتقطع انفاسى ، وتهن ساقاى ، كما لو كانتا من القماش قد صنعتا . ساقاى الاثنتان ، السليمة والمريضة على السواء . انهض ، واذهب الى الباب . لكن لم يكن ثمة أحد آت الينا . المصعد يقف فى طابق آخر ، فأعود وأجلس مع فولا فى غرفة الاستقبال الصغيرة .

لما يكن لدينا فساتين نحيكها ، ولم نكن ننتظر زوارا . خرجت الفتيات مع أصحابهن ، ينعمن بيوم الأحد . وكان الجو مشمسا ، وبهيجا . كنا فى يناير ، ويخيل لك اننا فى الصيف .

ظللت أنا وفولا ، مثل البوم ، محبوستين فى العتمة . راحت تقول لى ما الفت ان تردده على الدوام ، حكايات عن ارواح ، وجرائم قتل ، وامراض ، واخفاقات ، وسحر ، ومن وقت لآخر ، تزج بالقديس فانورى فى حديثها .. روحى تنقبض .. هذه المرأة تملأنى تعاسة . لا اذكر قط أنها خلعت ثيابها السوداء ، التى تفوح منها رائحة الجثث « اسكتى ، اسكتى ، من فضلك ، انزلى القدر من النار ، وقدمى لنا نأكل » .

انتظرناه طويلا. على المائدة خيم علينا الصمت . كنا نزدرد الطعام

بصعوبة . بين الحين والحين ، ترفع فولا عن صحنها عينيها المصابتين بالحول ، وتنظر الى . كانت تتحين فرصة اسمح لها فيها ان تعاود حديثها المكرور من جديد .

قلت انه سوف يأتى ساعة تناول القهوة . اعتاد ذلك . ولكن حتى آنذاك لم يظهر .

فى الثالثة اتخذت قرارى . قلت : « فولا ، ارعى البيت . انى ذاهبة سوف اتظاهر بأننى أمر امام البيت . ربما كان مريضا ولا نعرف نحن ذلك . على أسوأ الأحوال ، لنقل اننى قمت بنزهة فى هذا الجو المشمس ... » قالت لى : « كما تشائين . احذرى فحسب أن تلتقى بزوجة أخيه ، لأنها سليطة اللسان . انه يقطر سما . اخبرتك بما كانت تقوله منذ أيام لستيليانا بشأنك » . قاطعتها قائلة : « اعرف ، أعرف ! » ونهضت أغير ملابسى .

انكمشت فولا فى ثيابها السوداء ، وتمتمت بشىء ، عن فطيرة القديس فانورى التى ما دامت قد خبزت ، فانها سرعان ماستحقق مانذرت من أجله .

كان يقيم مع أهله بعيدا ، على مشارف المدينة ، فى حى فقير ، يكتظ ببيوت واطئة وتتناثر فيه الحقول . فى الترام كنت قلقة خشية ان أتوه فى الأزقة ولا اعثر على بيته . شرحت لى فولا ماذا افعل كى اتفادى طريقا اطول . قالت لى : « الأمر سهل » قلت لها : « يبدو الأمر سهلا لك انت . أما انا التى تختلط على الشوارع ، وبساقى هذه ... فالدروب وعرة .. »

كان هذا الأمر يشغلنى ، فلم أكن أرى الشمس الساطعة بالخارج . ثم انصرف ذهنى الى امر آخر . ماذا لو كان مريضا حقا ؟ مريضا للغاية ؟ كيف سوف اتبين ذلك ؟ ربما ستكون أمه فى الشرفة ، وترانى أمر ، فتنادينى . فى لحظات مثل هذه تحدث أمور كهذه . ربما تشفق على وتدعونى للدخول ، وذلك - ان شئنا القول - كى تدخل البهجة الى قلب ابنها .

كنت ابتسم وحدى . ولكن كيف انسى ما قالته زوجة أخيه لستيليانا ؟ ذهبت زوجة الأخ اليها ، تذم حماتها : « أتعتقدين انها طيبة ؟ انت واهمة ! انها عجوز داهية وقانا الله شرها . الم اخبرك ماذا قالت عن صاحبة فولا ؟ قالت أفضل أن أراه لصا قاتلا ، معلقا فى المشنقة على ان اتركه يتزوج هذه العرجاء الماهرة . اذ كان يلهو معها ، ويضمن مصروفا لجيبه ، ايه ، فانى

اتظاهر بأنني لا افهم . أما اذا تعلق الأمر بالزواج ... » هـذا ما أخبرتني به فولا نقلا عن ستيليانا . على انني كنت أعود فأقول لنفسي ربما لم تقل ذلك ، ولا حتى دار بخلد العجوز ، ولكن تشيعه زوجة ابنها ، فهي تعرف ان هذه الأقوال ستصل الى سمعي، وهي تعاديني . كما لو كنت قد ارتكبت في حقهـــا جرما . واني لي معرفتها ، هذه القذرة ؟

وهكذا تارة ابتسم وتارة يخيم على الوجوم ، حتى وصلت الى النبي ايليا دون أن أتبين ذلك . صعدت الدرجات وأوقدت شمعة كبيرة من فئة الخمسة قروش . أمام أيقونة القديس استيفان . راجية أن يكون مريضا حقا . قبلت اعتـــاب النبي وخرجت . اجتزت الفناء ، كما قالت لي فولا ، ووجدت الباب الخلفي مواربا.

ولـكن ما ان وطـئـات قدمي أرض ذلك الدرب حتى انتابتني رعشة ، كما لو كان ثمة ما ينذر بالسوء . جلدى الذى كان قـد اتقد في الشمس صار الآن جعدا . على الجانبين حوائط ، ومن وراء أسوار البساتين تميل اشجار ، تطل على الشـــارع . تتلوى اغصانها المعقدة مثل خصلات مغزولة على هيئـــة قنـــاطر خضراء وكهوف قاتمة . عصافير صغيرة كانت تملأ الجو بزقزقتها . ثم ترفرف اجنحتها فجاة ، وتطير معا مبتعدة . كان الشـــارع الطويل تقطعه من وقت لآخر ازقة تصب فيه مثل أبسطة من اضواء معتمة.

اخذت أسير . من يساري ، خلف سور أحد البساتين نبح في كلب . احسست بساقي تميدان من تحتي . كنت أخاف الـكلاب دائما .

لم أتوقف . وعندما اقتربت من الزقاق الثالث الى اليمين لمحت البيت ذا السقف المهدم عند الناصية . خفق قلبي بشدة حتى خلته سيتحطم ، ومن ورائي كان الـكلب ينبح .

تظاهرت بأني أمر من هناك غير مكترثة . في الشرفة وقفت امه العجوز . كانت ترتدى منديلا جديدا ، ولـكن احدى عدســـتي نظـــارتها كانت مشروخة . ومن وراء الزجـــاج اتسعت عينهـــا واكتسبت ضراوة . بدت كما لو كانت ترقبني وتتجسس على . قلت لنفسي : « لو تزوجني ، سأشترى لها نظارة جديدة فضية الاطار ، ولها جراب » .

هتفت العجوز منادية « فانجيليو ! » كانت فانجيليو ابنتها . ترملت واقامت بدورها هناك مع اطفالها . قالت ستيليانا لفولا انها

لم تكن على وفاق مع الأرملة الأخرى ، زوجة أخيها سليطة اللسان.
وفى البيت أيضا يعيش يورغيس شقيقهم الأكبر ، النجار. ذات يوم كانت هذه الأسرة من الأسر الكبيرة. ولكن الموت نزل بمنجله وحصد وفرق الأزواج . وكم يحل الخراب بالأسر عندما يحط مرض السل على رجالها !

لم أكن أعرف ماذا أفعل . هل أقف ، واقول : « مساء الخير. ما رأيك فى هذا الجو ؟ » كى أتظاهر بأننى أبحث عن بيت بعض الناس ... كنت أعرفهن ، وهن يعرفننى ، لكن كلا منا كانت تتظاهر بأنها لا تعرف الأخرى .

جبنت ، ومضيت فى سيرى . سمعت شباكا يفتح . كانت فانجيليو ؟

صاح صوت ينادى : « ستيفان ! » كما لو كانت النار اشتعلت بالبيت ، أو أن اللبن فار فى انائه على الموقد . دارت رأسى . أحسست قلبى ينخلع ، ويسقط متدحرجا من مكانه . تعثرت خطوتى . ماذا يجرى ؟ هل سيخرج هو الآن ، ويطل من الشباك ؟

أجابها أحد الصبية ضجرا : « ماذا تريدين ؟ » كان ابن الأخت ، ابن فانجيليو ، وكان اسمه ستيفان أيضا . لم أستدر لأراه . كانت ساقى المريضة تزحف على الأرض وتثير ترابا . خيل لى انى اسمع ضحكا ورائى .

الى يسارى ، زقاق أعرفه ، يقود الى ساحة أقيمت عليها عمارات . بسطح احداها تقيم كولا ، صديقة قديمة . لكننى لم استدر لأدخل هذا الزقاق ، قلت لنفسى فلأمض الى نهاية الشارع واعود على مهل ، كى القى نظرة أخرى .

على مبعدة من هناك ، كانت فيللا عصرية ذات سور من قضبان حديدية . ليس بحديقتها أشجار . ارض خضراء فحسب ، وقليل من شجر الورد ، وأرائك ، ومنضدة صغيرة وضع عليه طقم للشاى. ويا للغرابة ، من ارى جالسا هناك ؟ السيد ديمتراكى ، أحد زبائنى . كان يتردد علينا . فقد كانت له عشيقة من الشغالات عندى بنت سمراء نحيلة ، شديدة الدلال كثيرة النزوات . أما الآن ، فهو يجلس ، وقد فتح صدريته ، مستغرقا فى القراءة . زوجته امرأة مهندمة ، لاتزيد على الخامسة والثلاثين من عمرها ، بيضاء الذراعين كانت دائبة الحركة ، تعد الشاى . سوف يقول من لايعرف الحقيقة بالهما من زوجين متآلفين ... تذكرت يوم أن اغمى عليه ، فدلكناه

بالـكولونيا ، تذكرت حمالة سرواله وبطنه المنبعجة . وقد انشدنا نغني ساخرين منه :

« باديمتراكي ، باديمتراكي ، لا تناسبك السمنة ، أيها البدين .. » لحنى . طوى صحيفته ، ونهض يرمقني فاغرا فاه كما لو كان قد راى الشيطان أمامه . مضيت في سبيلي . ووصلت الى آخر الشارع وقفلت راجعة . بخطوات بطيئة حتى لا ارهق ســاقي . مررت من جديد أمام الفيللا . جلس الزوجان الآن يشربان الشاي. عندما رآني ارتبك من جديد .

سمعته يسأل زوجته : « من هذه ؟ » كما لو كان يقول لي : « لا تاتي الينا . ترين انني اتظاهر بانني لا اعرفك » . اما أنا ، فما كان حتى خطر ببالي شيء من هذا القبيل . أكان سيعلمني مهنتي ؟ لـكنني وددت أن القنه درسا على ما بدا منه حينما رآني قلت لنفسي : « دعك منه الآن . سيأتي دوره يوما » .

وصلت الى البيت ذي السقف المهدم . رايت ستيفان الصـغير منكبا على دراجة اسندها الى الارض . اخذت اهتف اليه في قرارة نفسي متوسلة : « اين خالك ، اين خالك ، ياحبيبي ؟ » .

كانت الشرفة خالية ، والنوافذ مغلقة . أكان يرقبني من ورائها احد ؟

تعالى مرة اخرى صوت ينادي : « ستيفان » ودب الرعب في أوصالي من جديد . سرت فاقدة الوعي ، مثـــل مخمـــور ، حتى الـكنيسة . ولـكن بدلا من أن افتح الباب الخلفي وارحل ، عدت الى الشارع ذاته ، بخطوات عرجاء . ثمة ما يجذبني . كنت أتوق حتى الموت أن اراه ، أن اعرف احواله .

كان الصغير صاحب الدراجة قد انصرف . لم تكن ثمة بادرة على وجود انسان . شباك واحد ظل مفتوحا ، ومنه بدا سرير حديدي يغطيه دثار ناحل ، ومرآة صدئة ذات اطار خشبي مذهب شـديد القدم . ولـكن مرة اخرى انطلق فجأة صوت يقول : « ستيفان ! اطرد الشحاذة التي تجلس بالخارج ! »

كانت زوجة الأخ ، سليطة اللسان . آه ، كم اثر في ذلك تأثيرا سيئا . خطر لي أن اقف . افتح فمي وأصيح : « أيتها القذرة ، ايتها القذرات » اقول : « انا شحاذة أم أنتن اللاتي تنتظرن لقمتكن من رجل واحد ؟ » . وكنت سوف أمضي فأقول من جنيهاتي المائة التي سلبها مني ــ كنت ساقول : « اذا كانت حماتك تلبس منديلا

جديدا وأنت حذاء جديدا ، وفانجيليو خفا من الجوخ ويورغي العامل الفاشل ربطة عنق حريري ، فانتم مدينون بكل هذه النقود لي انا ، جاء الى عشية عيد القديس فاسيليو وطلبها مني » .

هممت ان أتكلم ، لكنني تمالكت نفسي وتركت غضبي يتبدد. واصلت سيري ، لانني لو كنت تكلمت لتكالبن كلهن ضدي ، وكان السير جيئة وذهابا قد اضناني واوهن قواي . تلهفت أن أعود الى بيتي ، آه الى بيتي اعود واستريح . ولكن ماذا أفعل ، وقدكنت سوف اصطدم بديمتراكي ، لو مضيت الى الأمام خطوة ، اردت ان اجلس في مكان ما هنيهة ، واشرب قدحا من الماء .

يممت شطري الى كولا . اعرف ان زيارتي لن تروق لها . كانت قد وفقت الى الزواج من سائق قبرصي . ورزقت طفلا ، بل وهي الآن في انتظار طفلها الثاني . سمعت المسكينة أن تقطع صلتها ، تقطع صلتها تماما ، بحياتها السابقة كلها . ولكن ماذا بوسعي أن افعل أنا ايضا ؟ ساطلب منها كوبا من الماء فحسب ، واجلس قليلا استرد انفاسي من عناء السلم وانصرف الى حال سبيلي .

الطوابق اربعة ، ثم السطح . السلم مظلم ضيق ، درجاته شاقة ، وعالية جدا . ظننت اني لن اقوى عليها. وعندما صعدت ووصلت الى السطح ، كانت بانتظاري فاجعة اخرى . لم يكن احد بالبيت .

استندت الى الحاجز وبكيت مليا . احسست كأني تخففت من همي . رفعت رأسي . رأيت الشمس والبحر من بعيد قد غسلهما المطر ثم نظرت الى الساحة حيث سمعت أصواتا تحت . بعض الأولاد يلعبون الكرة بينهم ولد هزيل احمر الشعر ، بساق كسيحة وعكازين لم يشركوه في اللعب ، وتركوه يجري يحضر لهم الكرة متى قذف بها بعيدا ، حتى لايكلفوا انفسهم مشقة احضارها. كان المسكين يجري ، يطوح ذراعه الحرة ، ويطوح ساقه الكسيحة ، فاذا ما لحق بالكرة راح يركلها برجله السليمة ويدفعها بعكازه ، ويضحك وهو يلتقطها بيده ويقدمها اليهم . كان ذلك الشيء الصغير يملأه فرحا ينظر اليهم . وعندما يتبين انه قد تأخر في احضار الكرة ينحني غامرا .

ذلك الصبي اعاد السكينة الى قلبي . قلت : « سوف أمر من جديد ، للمرة الأخيرة . قد يخرج للقائي والا فاني سأمضي في سبيلي الى بوابة النبي ايليا . ومن هناك الى البيت » .

نزلت بعزم جديد . بل كنت أقول لنفسي ربما لم أكن قد أفرطت في المرور أمام بيته. اذا كانت العجوز لم تتعرف علي في المرة الأولى فقد رأوني مرتين فحسب . أهذا كثير ؟ الا يحدث للمرء أن يمر بذات الشارع مرتين وثلاث مرات ؟ ثلاث مرات عدد كبير ، لكن مرتي الثالثة سوف تكون الأخيرة . سوف أنصرف ؛ وعندئذ فليقلن ماشئن . بعد ذلك أخذت أقلب قول زوجة الأخ عن الشحاذة . أذكر انها لم تقل « التي تمر » أو « التي تحوم » بل قالت : « التي تجلس » وأنا لم أكن جالسة ، كنت مارة . ربما كان ثمة باب آخر بالخلف تجلس عنده شحاذة ، من يدري ؟

كانت الشمس مائلة الى المغيب. كنت أقول لنفسي انه لو كان قد ذهب الى سباق الخيل ، فقد آن ميعاد أوبته . آه ، تبا لهذا السباق ، كم يجلب من أحزان . ولكن مهلا ، سوف أجد وسيلة لأضغط عليه ، وأصرفه عنه .

دارت كل هذه الأفكار بخلدي الى ان وصلت الى الناصية التي يقع عندها بيتهم . كانت النوافذ مفتوحة ، دون أن يبدو أحد . فجأة سمعت صوت رجل ، وخفق قلبي . اقتربت دون أن أعي من السور ، وأمسكت بقضبانه الحديدية . لكنه لم يكن ستيفان ، بل يورغي العاطل . كان يطلق الشـــــتائم ويقول : « كل يوم فاصوليا ، حتى يوم الأحد ، أيها الصغير ، احضر ، احضر الأوزو . هيا ، قلت لك بسرعة . اركب الدراجة ! »

هممت بالتراجع – ولكن وا مصيبتاه . ماذا أرى ؟ الجميع معا ، أمه ، وفانجيليو ، وزوجة أخيهم ، والصغير ، خرجوا بغتة الى النوافذ والشرفة ، ومضوا ينظرون الي ! خرج يورغي أيضا . يبدو ان الصغير كان يراقبني .

أسقط في يدي . خطوت متراجعة ، لكن اختلطت علي الأمور ، وبدلا من أن أسير في الطريق الذي يؤدي الى النبي ايليا ، دخلت في الزقاق الآخر ، الى اليســـار ولم أكن أعرف الى أين يقود . تظاهرت بعدم اكتراث من يمضي في طريقه غير مهتم بشيء . كان التراب طريا ، لم تكن قد وطأته الأقدام كثيرا من قبل . تعثرت مرة أو مرتين . انتابني دوار شديد لم أعرف ماذا كنت قد سمعت حقا ضحكات أم ان أذني كانتا يدوي فيهما طنين .

وهناك سمعت حشرجة ورائي ، لم التفت ، لكنني حدست أن

ثمة ظلا يقع على . لويت رقبتي ، احسست بالتراب يملأ انفي ، ورأيت ستيفان الصغير راكبا دراجته يقف امامي وسط سحابة . ثم خفف قبضته على الفرامل . ومضي يدور بالدراجة حولي . كما يفعلون بالسيرك .

انتابتني لوثة . انتابتني الرغبة أن اقتل الصبي الصعلوك. كززت على اسناني ، ووسعت من خطواتي . أن ارحل ، ان ارحل ، من هذا الشارع ، حتى لايروني . لكن الصغير ، كان هناك ، يعاود معي الحركة ذاتها ، مرة بعد أخرى . وكلما أمعن علت الضحكات .

غطاني التراب ، كانت أسناني تمضغ التراب الذى دخل فمي ، وزال أحمر الشفاه من على شفتي ولطخ يدى . تصبب عرقي . والتهبت عيناي . وساقي مضت تزحف على الأرض ، آه ، آه ، كفي ! اردت ان أصرخ . وفى النهاية ، اخذت أجرى .

لكن ، وا مصيبتاه . الآن ، تجيء الفضيحة الكبرى . عندما رفعت راسي برهة رايت امامي حائطا ، وعن يساري حائطا ، وعن يميني حائطا . كان ذلك الشارع زقاقا مسدودا حقا ، دون مخرج من اى جهة .. ولم اكن اعرف ! تلفت حولى على اجد بابا اطرقه . ما من باب على الاطلاق . كنت كمن دفنت حية ، وعندئذ تعالى الصياح الصفير الى عنان السماء .

كنت اريد أن تنشق الأرض وتبتلعني فى ذلك الركن ، وأن استسلم لأنين قلبي ، واطلق العنان لدموعي ، واقول لهم اذهبوا عني ،دعوني ، لا اريد منكم شيئا ، لن أطالبكم بشيء . وددت لو كنت مت .

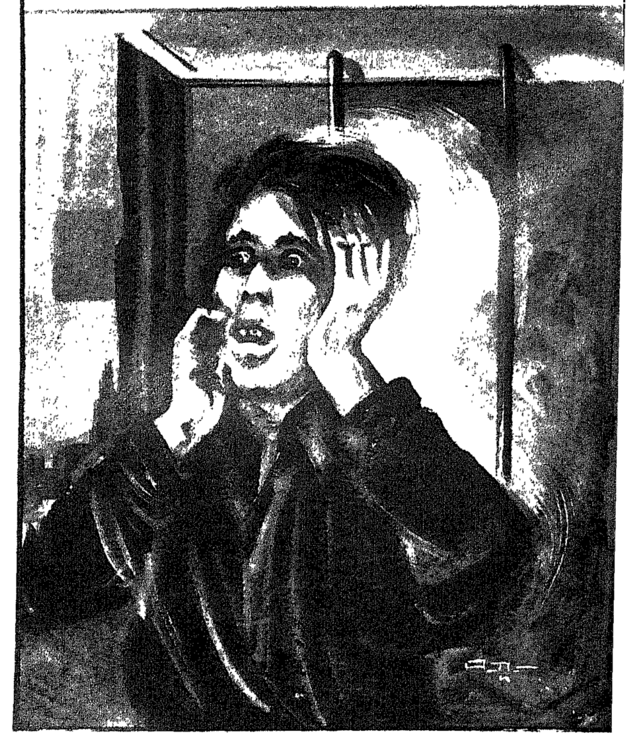
ومع ذلك ، نكست راسي من جديد ، وعدت أدراجي ، مهيضة الجناح ، تعلوني الأقذار ، بخطوات مرجاء ، ولم يكف الصغير عن المجيء والذهاب ، واعتراض طريقي ، مزهوا بما يفعل . ولم ينقطع الصفير والصياح والتصفيق من انحاء الطريق . تجمع ايضا بعض المارة والجيران . وقفوا يشاهدون بدورهم ما يجري ، ويضحكون وما من انسان واحد وجد ليقول لهم عار عليكم ما تفعلون . أما أنا، فقد مررت من أمامهم دون أن انبس بكلمة . كنت أتعثر فى خطاي فحسب وامضي فى سيري .

كان ما انتابني من امتهان ذلك اليوم لا يطاق ، واحسست بمرارة لاتوصف ...

وطوال الوقت الذى كنت أتعذب فيه هناك عند بيته ، كان هو يجلس مع فولا فى غرفة الاستقبال الصغيرة ، ينتظرنى . قال أنه جاء يطلب منى أن أقرضه خمسة جنيهات ، يدفع بها دينا عليه من ديون السباق .

الفيل

كوستاس فاليتاس



الفيل

كنت في غرفتي ، عندما سمعت جلبة في المشى . ابواب تفتح وتقفل . انفاس لاهثة وخطوات تركض على درجات السلم . ضلف توارب لتسترق النظر من خلفها عيون مضطربة . ثم صوت شيء على الأرض يهوى مصحوبا بأنين وهبدات ، مثل طلقات مدفعية ، تواكب خطوات متزلزلة ترج طوابق العمارة .

الصقت عينى بثقب الباب ، لكننى لم اميز شيئا . رأيت وهجا اخضر وظلالا . وضعت عينى الثانية محل الأولى ، فرأيته . كان يقترب بخطا راسخة واثقة غير مزعزعة . ثم اظلم كل شيء . أحسست بالباب يضغط عليه بشدة ، ضغطة غير عادية . صارت تفصلنى عنه كتلة الخشب الرقيقة .

(عندئذ فحسب أدركت الخطر الذى يواجهنى ، وتبينت اننى واقع تحت تهديد سطوته المباشر) .

صادفته من قبل فيما حولى ، لكننى لم اتصور انه سيتالب على . اصدقكم القول لم يدر ذلك بخلدى قط . كماكانت الصحف باعلانها انه « لن تسمح بكذا وكذا » تصرف أذهاننا عن الأمر ، وتخدر جماهير قرائها الكرام .

لم اتح له ان يأخذ على مأخذا ، واعتقدت اننى بمنأى عن كل خطر ، وفوق مستوى الشبهات . وانه على اقل تقدير لن يجرؤ على مضايقتى . كان قد نما الى علمى بالطبع اخبار بعض زياراته لبيوت الآخرين وما شاب تلك الزيارات من بهيمية وعنف ، لكن ذلك لم يكن يعنينى فى شيء . لابد ان ثمة أمورا تشوبهم دعته الى زيارتهم . أليس كذلك ؟ لا احد يضايق غيره بلا سبب .

القيت بجسمى على الباب ، ورحت اصده عن الدخول . كان يجب أن افعل شيئا ، ان أجد شيئا . ان اقاوم . عندئذ فقدت هدوء أعصابى . كان من المستحيل الا يحدث ذلك . ان على ان اقدم على شيء ، مهما كان صغيرا .

(ارتخت خيوط أعصابى . أحسست بعضلاتى تلين . أضحت عجينا) .

زايلنى قدر من توترى ، كما لو كنت قد استرددت توازنى . احسست بعضا من عنفوانى يعود الى . دفعت بالمنضدة ووضعتها خلف الباب . لـكننى انهرت من جديد . انصهرت عظامى ، وماعدت اشعر بها . ارتعشت يداى كما لو كنت مصابا بمرض ارتعـــاش الأطراف .

أما هو فلم يكن فى عجلة من أمره . بركلة رائعة من احدى قدميه الأماميتين حطم مقاومة الباب المدعم بالمنضدة . وبرفعة ازدرائية من خرطومه ـ الذى لم تكن ، والحق يقال ، تنقصه الوسامة ـ نحى الحطام جانبا ، ودخل بعدم اكتراث مملوكى . وقف أمامى على مبعدة قريبة. راكعا على قدمى رحت احدق فى عينيه مباشرة . بادلنى بدوره النظرات . خيم علينا الصمت . لم ينشــــأ بيننا اى تجاذب او تعاطف . لاحظت ان له عينين واسعتين مضيئتين ، تصدر عنهما نظرات حكيمة ، ليس فيها من الغباء شىء . (كما قد يعتقد المرء عند النظرة الأولى) .

ناعستان ضجرتان ، هذا حق . لكنه يعرف ذلك ، وكثيرون رأوا عينيه ، وقد وصل الى الحد الذى لم يعد شىء يترك فيه انطباعا . وما فى نظراتهما من قسوة وبهيمية مبرر . كان يعرف عيوبى ، اى عملة مزيفة انا ، وفى اى الأخطاء ترديت .

(كل هذا كنت اقبله لو حدث لغيرى ، ولو كان من جيرانى . ولـكن هأنا مهدد تهديدا مباشرا ، فى جسمى . ليس هزلا أن يدخل احد على هذا النحو الى حجرتك) .

لمدة عشر ثوان قام نوع من التوازن بيننا ، ولم لانقول من التعاطف ايضا . ربما كان وصف ذلك بالتعاطف مبالغا فيه . الأصح أن نقول فهما تبادلا . فهم هو موقفى ، كما فهمت انا موقفه . وقد كنت اتأهب لأن أقول له شيئا مثل : « لو كنت مكانك لفعلت مثلك »

رايت التحول الذى طرا على خواطره ، انطبع ذلك على حاجبيه الضخمين ، وعلى جفنيه ، وعلى حدقتيه المرسومتين. تبينت فى عينيه تجاهلا وازدراء ، ولمحت استهجانا . كانت نظراته تبصق فى وجهى الأحترام القليل جدا الذى كان قد افصح لى عنه اول الأمر . عرفت من ستكون ضحيته التالية . ســـــيدوسنى . سيمر من على ، ويسحقنى بثقله الضخم . فيلصق جسدى الذى اضحى قطعة من عجين لا قيمة له بجسده ، ويضاف الى كيانه الجرم . وربما نمت

من جراء ذلك قليلا اذناه الكبيرتان اللتان تسمعان كل صوت ، ولا تغيب عنهما أى همسة . أو ربما ازداد خرطومه استطالة . ولكن من المضحك أن أشغل نفسى بالموضع الذى سامتص اليه من جسمه ، واصبح جزءا من انسجته .

أجل ، أجل ، الأمر واضح كالشمس . انه يريد أن يمتصنى ، أو يجعلنى مثله ، على صورته ونسخة طبق الأصل منه ... كلا ، كلا ، لم يكن يريد أن يقتلنى — ومنذ الذى يقتل فى عصرنا ؟ — كان يريد أن يستحوذ على وجودى ليهضمنى ويتمثلنى فى كيانه الجسدى .

كنت لا زلت الاحظ ضآلتى البدنية . لا وجه للمقارنة بينى وبين قوته الطبيعية ، التى تتجاوز كل منافسة ، وأما عن اعتزازه بنفسه وثقته فيها فحدث . كيف يمكننى ، أنا الممتلىء بالمشاكل والشكوك والتمزقات والتعاسات الخاصة ، والصراعات المستمرة مع ذاتى . أنا اللوام دائب النقد ، الذى لا استقر على حال ، واراجع ارائى فى كل وقت كيف يمكننى ان اقارن نفسى به ؟ بهذا الذى توحد شكرا وعملا ، عزما وتنفيذا ، الذى يقول فلا يعصى له امر ، الذى رجع عقله فسرى فى جسده كله وامتد الى اطراف أظافره (والى نابيه اللامعين أيضا) بهذا . الذى صار حتى خرطومه بالحكمة يتفلسف ؟

وعندئذ ، كما لو كنت أتلقى العون من جهاز رائع للطاقة الشمسية القيت على ظهر الدولاب بالآلة الكاتبة (التى أهدتنى اياها السنة الماضية نافسيكا بمرتبها الثالث عشر) وبقفزة انتحارية قفزت الى النافذة .

خطا الفيل فى أرجاء الحجرة ، كأحد المعارف القدامى الذى يعرف خباياها ، وبجذبة واحدة القى الآلة الكاتبة أرضا وراح يدوس عليها بقدمه اليسرى حتى جعلها لوحا حديديا . مبطوطا . ثم فتح الدرج ، الذى كنت أخفى فيه مخطوطاتى عن الجمهور والنقاد . وحشا بها فمه ، لكنه لم يبتلعها ، وبعد ثلاث ثوان تقيأها كعصيدة ملكية ، تكورت على هيئة كرة قدم .


الـــزائـــر
كوستاس فاليتاس

الزائر

« كانت الجثة ليورغوس ذيماكيس المستخدم بالقطاع الخاص ، وقد اختفت من الجبانة فى الثالثة بعد الظهر . كيف وجدت هنا ؟ »

كنا نجلس حول المذياع ، ننتظر سماع الأخبار . كانت قد مضت ساعة على انتهاء الوقت المصرح بتجوال السيارات . سمعنا دقات على الباب . انزعجنا وخرجنا الى المشى ، وفى التو رأينا شخصا مجهولا ينظر الينا من فتحة الباب . كيف دخل ؟ كيف فتح باب الطابق الأرض المغلق ؟

أبعدت ملابسه المهندمة احتمال أن يكون قد تسلق الى السطح ، ثم نزل من السلم . عهدت الى زوجى وامى امر استقباله . استأذنت اتاكد ما اذا كنت قد اوصدت باب الطابق الارضى . كان موصدا . وكذلك زجاج باب السلم وباب الخدم أيضا لم يمس بالشقة السفلى . صعدت ، ورايته جالسا بين المرآتين وقد وضع ساقا على ساق .

ــ ماذا تريد ؟

ــ لا شىء ؟

ــ لاشىء ؟ كيف ؟

ــ لاشىء يجعلكم تتضايقون .

ــ اذن ، لماذا جئت ؟

ــ اتساءل بدورى .

ــ معذرة . لكنى لا اعتقد اننا نعرفك .

ــ انتم لاتعرفوننى . هذا صحيح . اما انا فأعرفكم جيدا .

قالت أمى بصوت منطفىء :

ــ هل تتناول قدحا من الشاى ؟

ابتسم ، ولم يجب . لكى يبدوان السؤال الذى وجهته المراة العجوز دون أن يلقىاجابة زاد مناضطرابنا حتى لم نعد بقادرينأن نمضى فى السلبية والاستسلام .

كيف دخل هذا الغريب البيت ؟

من هو ؟

ماذا تعنى كلماته المريبة بأنه يعرفنا حق المعرفة ، وانه لايعرف السبب من زيارته ؟
ماذا يريد ؟
بل وكيف كان يتجول فى الشارع فى مثل هذا الوقت ؟
استنفدت هذه الأسئلة صبرى ، لكن السؤال الأخير على الاخص كان يملأنى خوفا من نوايا هــذا الزائر .
قلت :
ـ فرض حظر التجول .
ـ اعرف .
ـ منذ ساعة وعشر دقائق بالضبط غير مسموح لأحد ان يوجد بالخارج .
ـ هـــذا صحيح .
ـ من حسن الحظ انه لم يصبك سوء .
ـ من حسن الحظ .
ـ الم تقابل احدا فى الشـــارع ؟
ـ لا احـــد .
ـ اعلنوا انهم سيطلقون الرصاص على كل من يتجول دون ترخيص .
ـ سمعته بدورى هـــذا .
ـ ترخيـــص خاص .
ـ اجـــل .
جرؤت فاستطردت قائلا ، وانا احاول الابتسام حتى تبــدو عبــارتى عادية :
ـ الا اذا كان لديك ترخيـــص .
ـ ترخيص ؟ ليس لدى ترخيص .
ـ كيف جرؤت اذن على الخروج ؟
ـ كيف جرؤت ؟
ـ لا تقل لى انك خرجت هكذا الى الشارع معرضا حيــاتك للخطر . اتعرف ، ان هناك قتلى ، وجرحى ؟ اذاعوا ان هنـــاك صرعى برصاصـــات طائشة ؟
ـ للأســف .
ـ لم تكترث اذن بشىء ؟ لابد ان ثمة دافعا قويا دفعك الى ذلك ؟
ـ اؤكد لك انه ليس لدى اى دافع ؟
ـ الم تعرض حيـــاتك للخطر فى مجيئك الى بيتى ؟
ســـال ببرود :

ـ ماذا تعنى ؟
انفجرت قائلا :
ـ كى تأتى الى هنا . فلننته ، لماذا انت هنا ؟ ماذا تطلب ؟ لا تقل لى انك لا تعرف .
ـ ومع ذلك ، فهذه هى الحقيقة .
ـ لكن هذا غير معقول . تأمل الأمر قليلا . لايعرف احدنا الآخر . التجول محظور . يطلقون النار على كل من يبرح بيته . ومع ذلك فانت هنا بيننا ، غريب ، مجهول ، لم يدعك أحد ، اثرت الذعر فى اهل بيتى ، دون ان يكون لديك من الأدب ما يجعلك تشرح لنا مقاصدك. فى لحظة مشحونة بالأخطار وبالضحايا.
خفض صوته وقال :
ـ من فضلكم . لا تعملوا حسابا لى ، امضوا فى اموركم العادية.
كنا تنظر اليه مبهورى الأنفاس ، صامتين . كان كلامه جد مختلف ، عما ينتظر سماعه من شخص فى مكانه . ومع ذلك ، فقد كنا نجد فى الظهور المريب للرجل الغريب بيننا منطقا تحت كل هذه الأوضاع غير المعقولة .
ـ بصرف النظر عن اننا لا نعرف كيف دخلت ...
ـ وانت ، ماذا تقول ؟
ـ لا اريد أن اكون قليل الأدب ، لا أريد ان أوجه اليك اللوم..
ـ ارجوك ، ارجوك ...
ـ ربما كان لك أسبابك الخاصة . لكن ماذا يمكننى أن أقول؟ لا اعرف ماذا أقول . لايمكننى ان اقول شيئا . تتجاوز الاحداث كل تفسير معقول أو مفهوم . من المستحيل ان اجد فيها جرعة من المنطق ، او قدرا من التماسك يقيم أودها . ولكن انت تفهم ، فى لحظات مثل هذه يسودنا الرعب ، ضع نفسك فى مكاننا ، شخص مجهول يدخل البيت بينما أبوابه موصدة ، بل واحكم ايصادها ، والمفتاح فى جيبى .
ـ حقا ؟ (قال ذلك ببراءة ، اقل ما توصف به انها مثيرة للغيظ ، كما لو لم يكن هو ، بل شخص آخر ، من أوجد هذا الوضع كله)
ـ من أين دخلت ؟
(سألته ، وقد استقر عزمى على مواجهة كل الاحتمالات) .
ـ كيف فتحت الباب ؟ أجب .

ـ يحزنني كل ذلك .
ـ هل معك نسخة من المفتـــاح ؟ هل تسلقت الى السطح ؟
وكيف ؟ لـكن لو كنت قد فعلت ذلك لتهدلت ملابسك وعلق بها
التراب . لابد انك استخدمت سلما أو حبلا على الأقل . الا اذا
لم تـكن وحدك ، ولك اعوان .
ـ اني وحيـــــــــد .
ـ ولـكن وحق المسيح ، ماذا تطلب ؟ ماذا تريد ، أيها الرجل؟
لـماذا كل هذا ؟ ما هدفك ؟ لا تعذبنا اكثر من ذلك . اشـفق
علينا . الا ترى الى أى حال أوصلتنا ؟
ـ وددت لو استـــطيع .
(قال الرجل المجهول هذا ، ثم تدحرج على الأرض ، كما لو
كان قد وقع في قبضة زلزال شـــديد) .
ألقينا وسادة تحت رأسه . فكـكنا أزرار سترته وصدريته .
رأينا جرحا عميقا مثل قرنفلة متفتحة بحمرة الدم الذى جف يزين
صدره . عظام مهشمة ، وعضلات متهرئة . وبقايا عروق واعصاب
وشرايين بظت من ضـلعه المـكسور ، وعلى الرغم من ان ميروبى
حاولت أن تجرى له تنفسا صناعيا فقد قربت المرآة من فمه .
فبقى زجاجها نظيفا ، ولم تعتمها الأنفاس . غطيناه بملاءة بيضاء .
وجلبناه الى منضدة غرفة الطعام . ورحنا ننظر اليه صامتين .
شرعت المرأة العجوز تقول :
ـ اذن ...
لم تكمل عبارتها ، فقد سمعنا عند الباب الخارجى جلبة مفزعة.
ارتجت من شدتها اعمدة البيت ودعائمه .
ـ افتحوا . سوف نحطم البـــــاب .
ـ هل تخبئون احدا ؟
ـ لا احـــــــد !
خرجت اليهم :
ـ الازم البيت قبل ميعاد حظر التجول بساعتين .
ـ هل تعرف من يدعى ذيماكيس ؟ يورغيوس ذيماكيس ؟
ـ كلا .
ـ أهو من اقاربك ؟
ـ كلا ، على الاطلاق .
ـ اذن ، لـماذا سرقت جثته من المشرحة ؟

ـ اية جثـــــــــة ؟
ـ اين تضعها ؟
(وبخطوات واسعة اقترب المفتش من المنضدة . وازاح الملاءة)
ـ من هـــــــذا ؟
ـ لا نعرف !
ـ كيف وجد هنا ؟
ـ لم نستطع أن نعرف . شيء لايمكن تفسيره .
ـ هـــــذه جثة يورغيوس ذيماكيس . اختفت من المشرحة فى السادسة مساء . الا تقدم تبريرا ؟
(لم يتكلم احد . وماذا كان لدينا لنقوله)
ـ كيف وجدت هنا ؟
ـ ألديك ما تريد أن تضيفه ؟ كيف وصلت الجثة الى بيتك ؟ هل لديك ما تقوله ؟
ـ ليس لدى شيء على الاطلاق اقوله ، على الاطلاق .
ـ اعطنـــــــــا يديك .
(عندما لمس القيد الحديدى معصمى وسرت فى برودته داخلنى احساس غريب بالسكينة والراحة) .


على ضفاف النيل
كيتي بابازاكي-كاراميتسا

على ضفاف النيل

وجلت منضدة منزوية ، وجلست . الرواد قليلون في هـذه الساعة المبكرة من الصباح باحدى المناضد فتى وفتـاة يتحادثان بصوت خفيض غير مكترثين بما حولهما .. كان امام يكاد ينام على أحد الـكراسى عندما رآها ، سوى طربوشه على رأسه ، وشد الحزام العريض الاحمر حول جلبابه الحريرى المخطط . اقترب ، ووقف امامها .

قالت له شـــــاردة البال :

ـ فنجال من القهوة .

كان هذا المكان على ضفاف النيل يروق لها دائما . راحت تتابع قاربا يمر ببطء ، يشق به اللجة رجل لمعت حبـات العرق على وجهه وعنقه . يلبس طاقية ، ويكاد يغمض عينيه من وهج الشمس . جسمه الرشيق المفتول يميل تارة الى الأمام وتارة الى الخلف ، كمن ينحنى يقبل مصـــيره مرة ، ويتراجع يتطلع اليه بكبرياء مرة اخرى . يجذب المجدافين ، يضرب بهما صفحة المـاء فى ايقـاعات بطيئة ، ويتغنى بأحلامه القنوع .

أمامها دهبية عاطلة عن السفر تنتظر الناس الذين يأتون اليهـا من وقت لآخر ، وتحسد البواخر النيلية التى تمر بجوارها بصفيرها الفرح مبحرة الى الصعيد تحت سماوات تستحم بضياء القمر . أما هى فتبقى ملتصقة بالماء ، تمضى لياليها مطفأة الانوار . على مرمى البصر أشجار ، أشجار كثيرة ، تطل على النيـل ، تشاهد فى مرآته جمالها . وتستلقى ظلالها حبيبات مدللات بين أحضانه . وفى الأغوار جسر مثل قوس للنصر يمر من تحته اله جليل . ومن جامع قريب يتعالى الآذان فترشف المويجات الخاشعات صـوته .

تناولت جرعة من القهوة ، وعادت بفكرها الى الوراء . تذكرت نظرته التى سرحت بعيـدا مع الميـاه . لم يقل لها قط كلمة تنير الطريق امام خطواتها ، وتهديها فتنسجم مع وقع خطواته . سمعت نفسها تقول له من جديد :

ـ يقولون اننى يجب أن ارحل . وانت ماذا تقول ؟

لم تتلق منه ردا . نظر الى اعماق عينيها . رأت جبينه يظلم . اشاح بنظراته فى يأس . كان الأمر بالنسبة له بعيدا ، جد سابق لأوانه . بداخلها ، أهابت به :

ــ اسرع . لم يبق وقت . آخرون يقررون مصيرى . اذا اردت سوف اصمد. سأنتظر لو قلت لى انتظرينى ، وسوف أنتظر مهما طال الزمن .

فكرت . وراحت تقول لنفسها . كان يجب ان اخبره . اجل ، كان يجب . ما دامت تعرف انها مختلفة عن الآخرين فى حياته ، وتجعله سعيدا الى حد يفوق التصديق ، وهى تحتضنه بعواطفها الجياشة . هذا ما كان يقوله لها . اجل ، يجب أن تذود عن حياتها . وتزداد تشبثا بها . يجب ان تحيلها الى شيء ملموس، فلا تتخلى عن هذا الحب الذى انبسط ، وأبان لها عن وجهه فى كل الأرجاء . هذا الحب سرى فى دمائها دافئا ، وتستشعره الآن بأعماقها مثل جرثومة تمرضها ، وتترك على شفتيها طعم العلقم.

اجل كان يجب . اجل ، كان يجب ، ولكن خبرتها آنذاك كانت قليلة اما خبرتها الآن ، فما عادت تعرف ماذا تفعل بها .

انصرف العاشقان . بحثت الفتاة عن يده ، وامسكت بها . صاحت فى اعماقها بأسى :

ــ لا تتركيه ، لا تتركيه .

عادت تنظر الى حيث تجلى لها اليوم وجهه ، معلقا بين السماء ولجة الماء . رأت طائرا تسمر فى الهواء محتفظا بتوازنه . وظل مثل شهاب يرفرف فى النور . ثم مضى يحط على شجرة . ارتعشت يدها على فنجال القهوة . تلمست بأصابعها دفاه ، لكنها وجدته باردا .

الرجل الذى أراد أن يعود طفلاً

أندون ساماراكى



الرجل الذى أراد أن يعود طفلا

ذات مساء فى يناير الماضى دخل صيدلية ليلية واشترى علبة من الحبوب المسهلة ، فقد كان يعانى من امساك مزمن فى السنوات الأخيرة . ثم ذهب ليأخذ الأوتوبيس الى بيته .

وجد صفا طويلا من المنتظرين فى المحطة ظل ينتظر صابرا . وفى النهاية أمكنه الصعود . فى العربة وقف . كان قصيرا ، على قدر من البدانة ، ذا بطن تنبعج قليلا . وفى نوفمبر الماضى بلغ السابعة والأربعين .

بجواره كان ثمة من يضغط عليه . وبعد قليل نهضت سيدة ونزلت ، فجلس هو مكانها . عندئذ وجد مجلة « عالم الأولاد » وهى مجلة من مجلات الأطفال . كانت أول مرة تقع عينيه فيها على هذه المجلة . لم يكن له شأن بمجلات الأطفال من قبل .

ألقى نظرة على الغلاف الملون . كان يصور راعيا من رعاة البقر يقفز بجواده الأبيض . وقد كتب تحت الصورة : تابعوا قصتنا الجديدة « مغامرة فى الغرب القصى » التى تبدأ فى هذا العدد . المجلة تصدر كل سبت ، كما هو مكتوب على الغلاف . وكان هذا عددها الأخير ، ولم تفض صفحاته بعد . لم يكن يدرى ماذا يفعل به ، فليس له أولاد . أربعة عشر عاما مضت على زواجه ، والسبب عقم اصاب امرأته . وفى الديوان الذى يشغل به وظيفة صغيرة منذ ثمانى عشرة سنة ، كان موضع سخرية زملائه لأنه لم يفلح فى ان ينجب أولادا .

تلفت علَّه يجد طفلا يعطيه المجلة . ولكنه لم ير من حوله سوى كبار . فكر أن يعطيها لولد من أقربائه ، لابن بنت عمه ، وهو صبى عفريت فى الحادية عشرة من عمره ، يقطن فى جيرته .

كانت ثمة رائحة عطنة فى الأوتوبيس .

عندما وصل الى بيته ، دخل الى غرفته الصغيرة التى كان ينفرد بها ، الى جوار غرفة الأكل . بغرفته مكتب صغير ومكتبة وحاملان صفت على رفوفهما الكتب . لم يكن الطعام قد أعد بعد وكانت زوجته بالمطبخ ، تطهو مكرونة باللحم المفروم . ذهب

الى غرفته الصغيرة حتى يجهز الطعام . كان قد ترك المجلة على احد الارفف . بسط صفحات جريدته . أحس وجعا بساقه اليسرى . كان يعاني من الروماتيزم . سوف يطلب من زوجته ان تدلكه. عندما يصبح الجو رطبا ، أو يصعد سلما ، تنتابه الالام.

مضى زهاء اسبوع على ذلك . الوقت ليل ، بعد العشاء لم تكن به رغبة فى النوم . اغلق على نفسه باب غرفته ، وفتح مجلدا من مجلدات الموسوعة .

كانت زوجته قد اعدت له قدحا من القهوة . ثم مضى الى سريره ورقد .

قرأ عشر دقائق . انتابه الضجر . نهض ، طاف بارجاء البيت ، اشعل سيجارة . وفى النهاية ، قرر أن يذهب لينام . وعندئذ لمح « عالم الأولاد » التى كان قد نسيها على الرف . فكر أن يقتل بعض الوقت .

كانت الساعة الحادية عشرة الا ثلثا تقريبا عندما امسك بالمجلة. وكانت الساعة الواحدة والنصف عندما تركها .

اجهز عليها كلها . قرأ القصتين الطويلتين : « مغامرة فى الغرب القصي » و « سنتان فى الغابة » وهذه الأخيرة كانت تنشر فى حلقات منذ اعداد سابقة . وقرأ القصص ، وحكاية « عروس الخريف » التى كانت موجهة الى أولاد أصغر سنا ، وصفحة « الذكاء » وفض الكلمات المتقاطعة ، وحل الفوازير ، وعثر على « الصورة الخفية » التى اقتضت منه بعض الجهد والوقت ، ركبه الاصرار ووفق الى الحل فى النهاية . كانت الصورة ارنبا صغيرا تبحث عنه امه . وقرأ صفحة « أصدقاؤنا الصغار يكتبون » التى تنشر قطعا ادبية للقراء الصغار . كما قرأ صفحة « اصدقاؤنا الصغار فيما بينهم » حيث يتراسل الأولاد تحت العديد من الأسماء المستعارة ويتبادلون شتى الدعابات . وفى النهاية ، وضع المجلة فى درج من أدراج مكتبه وذهب لينام . استلقى الى جوار امرأته التى رقدت على ظهرها فاغرة الفم .

حلم تلك الليلة حلما . رأى نفسه راعيا من رعاة البقر يمتطى جواده الأبيض ويجرى فى مرج من مروج الغرب القصى . وبينما هو ماض فى قفزه هذا استدار على الجنب الآخر وسقط على زوجته دون أن يصحو من نومه . على ان المرأة استيقظت ، معتقدة ان زوجها قد اشتاق الى بعض المداعبات التى كف عنها

مؤخرا . واذ رأته غارقا فى سباته استدارت على الجنب الآخر ، وعاودت نومها .

ثمة شيء حدث بداخله منذ تلك الليلة . امرما تغير .

يوم السبت من كل أسبوع ، صار يشترى « عالم الأولاد » وفى اللحظة التى يشتريها من الكشك يلقى نظرات متلصصة حوله، فقد كان بداخله احساس بانه انما يفعل شيئا غير لائق . وفى الليلة ذاتها بعد العشاء ، يغلق على نفسه غرفته الصغيرة ويقرأ المجلة . لم يصارح بالأمر أحدا . ومن فى امكانه ان يحس به !

كان يغلق على الأعداد درجا من أدراج مكتبه .

ثمة شيء حدث فى أعماقه . وهو يقرأ « عالم الأولاد » عثر من جديد على عالم الأولاد . عالم جد مختلف عن عالم الكبار .

فى الديوان كف عن تنكيس الراس . من قبل ، عندما كان يرى انحرافا أو خطأ لم يكن يفتح فمه بالكلام خوفا ، تعود على تقبل كل شيء بلا احتجاج . أما الآن ، فقد أصبح مختلفا . بل وفى ذات مرة دعته الى مكتبها احدى الشخصيات البارزة بالوزارة ، احدى الرياسات الكبيرة ، ومضت تضغط عليه حتى يأتى تصرفا فى اختصاصه مخالفا للقانون ، أن يقيد طلبا بتاريخ سابق ، ولكنه لم يرفض ذلك فحسب ، بل وخبط مكتب الرئيس بقبضته خبطة شديدة حتى ان قدح القهوة دلق ولطخ بعض الأوراق . أسقط فى يد الرئيس . لم يكن يتوقع ذلك قط .

لاحظت زوجته ماطرأ عليه من تغير . لاحظت انه يعتنى بنفسه . اشترى ربطتى عنق جديدتين . تبدل حاله . قلقت . شكت فى أن تكون امرأة أخرى دخلت حياته . لكن ما لبث أن هدأ بالها وقد لمست رقته البالغة معها . اعتقدت ان حبه القديم لها قد ازهر من جديد .

ومن ناحية أخرى ، فقد شفى من الامساك الذى كان يعانيه .

أرسل ذات مرة الى المجلة قطعة من الشعر المنثور كان قدكتبها « تأملات فى الخريف » هذا هو العنوان الذى أعطاه لمقطوعته . وبعث بها الى صفحة « أصدقاؤنا الصغار يكتبون » احتاج بطبيعة الحال أن يتخذ لنفسه اسما مستعارا . فكر فى كثير من الأسماء ، فى النهاية اختار « الفارس الأشقر » كان اسمر اللون ، ومنذ صغره وهو يحسد الشقر ، ويتمنى أن يكون أشقر .

نشرت المجلة مقطوعته النثرية الشعرية . وكم كانت فرحته

كبيرة ، ثم نشرت له مقطوعة أخرى . وبعد ذلك رفضت له مقطوعة ثالثة . وردت عليه المجلة يقولها : « ان الموضوع الذى اخترته يأصديقنا الصغير أعلى من سنك . انتظر حتى تكبر قليلا وعاود من جديد » .

هكذا كانت الأمور عندما قرأ ــ بعد شهرين ونصف تقريبا من الليلة الأولى التى قضاها مع « عالم الأولاد » ــ قرأ فى العدد الأخير من المجلة بصفحة « أصدقاؤنا الصغار فيما بينهم » الخبر الآتى :

« اعتزمنا ان نقيم أمسية موسيقية أدبية . ولذلك فاننا نرجو من أصحاب الأسماء الآتية من أصدقائنا المعروفين لدينا وغير المعروفين ان يشرفونا بالحضور : كارمن ، ماريا ستيوارت ، اغرامبيللى ، ذو القناع الحديدى ، نابليون ، الفارس الحزين ، الفارس الأشقر .. »

وتوالت أيضا بعض الأسماء المستعارة الأخرى . ثم اردفت الدعوة تقول : « اننا فى انتظارهم جميعا ونهيب بهم ألا يتخلفوا عن الحضور ، يوم الجمعة الثانى من ابريل الساعة السابعة مساء ، ١٤٥ شارع النصر ، الدور الثانى .

برينيس ــ ملكة سبأ ــ القرصان الأسود ــ بوسيدون ــ شيطان الموج .

لاشك ان الأولاد سيحزنون عندما ينتظم عقدهم بغير « الفارس الأشقر » . هذا ما فكر فيه ، ولكن لم يكن بالامكان غير ذلك .

صاح فى السائق : «١٤٥ شارع النصر. بأقصى سرعة فى مقدورك! سانقدك ضعف ما يسجله العداد » .

كاد يحدث تصادم مرتين بسبب السرعة ، لكن الأمر الوحيد الذى كان يعنيه أن يصل الى هناك بأقصر وقت . تأخر . كانت الساعة السابعة وعشرين دقيقة ، والدعوة قد حدد لها السابعة .

كيف انصرف عن الديوان ! كيف ترك كل شىء ، الأوراق والمحبرة والريشة وادراج مكتبه مفتوحة ، كل شىء على حاله . ونزل يقفز السلم درجتين درجتين ! قابله رئيس المستخدمين لحظة انصرافه . قال له ما معناه انه يآخذه لمغادرته مكتبه على هذا النحو دون اذن ، فلم يعره التفاتا .

كانت قد امسكت به قبضة جبارة ، قبضة جبارة للغاية ، استولت عليه قوة انفتحت بداخله فجأة بينما كان هناك فى مكتبه ،

يوم الجمعة بعد الظهر حيث ميعاد العمل من الخامسة الى الثامنة مساء . أرغمته تلك القوة المستحوذة ان يترك كل شيء وينصرف.
السيارة تقترب الآن . كان يجب أن يأخذ معه شيئًا ، فليس بالامكان أن يذهب الى الحفل خالى اليدين . يجب أن يأخذ معه شيئا . حلوى ، زهور ... هناك محل لبيع الأزهار فى شارعهم . نزل من التاكسي . اشترى باقة من الورد ، ورد احمر .
وصل ، دق جرس الباب الخارجي للعمارة وهو يحمل باقته . كان قلبه يدق بسرعة فائقة وبقوة . عاليا ، فى الدور الثالث ، نوافذ مضاءة . وفدث أنغام معزوفة على الاكرديون .
فتح باب العمارة . دخل. سلم خشبى حلزونى . ارتقى الدرجات بسرعة . لم يعد لأوجاعه الروماتيزمية وجود ، راحت عنه .
عندقمة السلم ولدان وبنت. فى حوالى الرابعة عشرة أوالخامسة عشرة من العمر . وقف على الدرجة قبل الأخيرة . وقال :
ــ الفارس الأشــــــــــقر .
قال ذلك كما لو كان يعرفهم بنفسه .
سأله أحد الولدين ، أطولهما قامة :
ــ لن يحضر ؟
وسأل الآخر :
ــ ماذا ؟ لن يحضر ؟
عاد الأول يسأل :
ــ أهو مريض ؟
قالت البنت :
ــ يا للخسارة ! كنت اتوق كثيرا الى التعرف به .
نظر الى الأولاد الثلاثة صامتا . لم يكن بامكانه أن يقول كلمة .
فجأة ، وبحركة مباغتة وضع باقة الزهور ، الورود الحمراء بين ذراعى الفتاة ، استدار ، ونزل السلم مسرعا ، خرج ، ومن النوافذ العالية بالدور الثالث سمع الأكرديون يعزف لحنا مرحا ، مضى فى ظلمة الليل ، خاوى اليدين الآن ، خاوى الصدر أيضا .

تمت

الفهرس

مقدمة بقلم المترجم ٧
النورس تأليف ايليا فينيزى ١١
المغنى تأليف يوانيس باناتوتوبولوس ٢١
صورة فتاة تأليف يوانيس باناتوتوبولوس ٢٥
البحر تأليف الكيفيادبس يانوبولوس ٣٣
تسوية ودية تأليف ديمترى سياتوبولوس ٤١
جزيرة يونانية تأليف غالاتيا سراندى ٤٩
حلم فتاة تأليف كوستاس خادزوبولوس ٦٣
انوار فى اغوار المحيط تأليف بيتروس خاريس ٦٩
عندما يهبط الليل تأليف بيتروس خاريس ٧٧
رسالة من غريق تأليف فاسيلى روتاس ٨٩
امراة على الهامش تأليف صوفيا مافرويدى باباذاكى ٩٥
بستان البرتقال تأليف فيليبو بيريدى ١٠١
المراة ذات العينين البريئتين تأليف ميخائيل كانيلليس ١٠٧
الأحزان تأليف ايمانويل ليكوذيس ١٢٥
دروب وعرة تأليف ستراتيس تسيركاس ١٣١
الفيل تأليف كوستاس فاليتاس ١٤١
الزائر تأليف كوستاس فاليتاس ١٤٥
على ضفاف النيل تأليف كيتى باباذاكى ــ كاراميتسا ١٥١
الرجل الذى اراد ان يكون طفلا تأليف اندونى ساماراكى ١٥٥



هذه الرواية

مجموعة من القصص المصرية تقدم الى القارىء متعة ذهنية وبهجة روحية وبدون حذلقة راح قصاصو هذه المجموعة يحكون عن الحياة فى بلادهم ، ويحكون ايضا عن الانسان فى كل الأوطان ، بافراحه والامه واحلامه .

انها باقة من القصص تبين كيف يرقى الكاتب المحلى الى العالمية الرحيبة بدفء موضاعاته والايمان الذى يشيعه فى كلماته .



١٥ قرشا